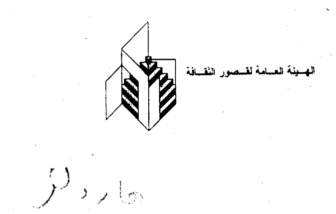


الحكيم لا يمشى فى الزفة

أحمد عتمان

مطبوعات
الهيئة العامة لقصور الثقافة

٣١

• الحكيم لا يمشى فى الزفة

• مسرحية

• أحمد عتمان

• الطبعة الأولى

• مطبوعات الهيئة (٣١)

• القاهرة ١٩٩٩

• رقم الايداع : ١٠٥٩٨ / ٩٩

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت : ٣٩٠٤٠٩٦

• المراسلات :
باسم مدير التحرير على العنوان التالى :
١٦أ شارع أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١

الإهداء

إلى أغلى هدايا أبي وأمي، أخوتي:
عثمان - نصر - علي - يحيى - سيد
وروح رفعت

أ. ع.

هذه الأصداء... تضمن البقاء

علاقتى بأريستوفانيس وتوفيق الحكيم قديمة للغاية. أعيش مع أوريستوفانيس منذ الستينيات دارساً وقارئاً ومترجماً ومشاهداً لمسرحياته باليونان وإيطاليا ومصر وغيرها. ثم كتبت مسرحيتى «عودة البصر للضيف الأعمى» مستوحياً مسرحيته «بلوتوس». وبدأت علاقتى بتوفيق الحكيم فى نفس الفترة تقريباً، ولكنها بدأت تأخذ بعداً جديداً فى أثناء وبعد تأليف كتابى عنه «المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم. دراسة مقارنة» (الطبعة الأولى ١٩٧٨).

أخذت كتابى وذهبت للقاء توفيق الحكيم. وكنت خائفا، وكان يهيأ لى أحيانا أنه ربما رفض استقبالى أو قذف فى وجهى بكتابى. وفى الدور السادس بمبنى الأهرام وقفت عند باب المكتب، وأخبرت العامل بالاستئذان لى بالدخول، وفوجئت بالحيكم نفسه يهب واقفا ويستقبلنى عند الباب مرحباً ترحاباً لم أحلم به قط. كان قد قرأ الكتاب لأن د. محمود الشنيطى رئيس الهيئة العامة للكتاب آنذاك - أرسل له نسختين فور صدوره وسبقنى فى ذلك. كان عملاقاً حتى فى فرحه وحنوه على الجيل الجديد. لقد ذهب بى إلى مكتب نجيب محفوظ وبحث عن د. حسين فوزى. ولكنه كان مريضاً. وطلب صلاح طاهر وجلسنا فى مكتبه نتحدث عن الكتاب.

كنت أرتعد من مجرد فكرة اللقاء مع العملاق الحكيم ووجدت نفسى أجلس معه ومع عمالقة أخرين. هذا اللقاء فى يوليو - أغسطس ١٩٨٧ كان بمثابة نقطة إنطلاق فى حياتى الأدبية.

وبلغ إعجاب توفيق الحكيم بالكتاب أنه ولأول مرة فى حياته شارك فى

برنامج «أمسية ثقافية» التلفزيونى الذى يقدمه فاروق شوشه وقال: «لقد أجبرنى هذا الكتاب على ذلك إذ رأيت ضرورة تحيته وتكريمه. ومن عادتى ألا أشارك فى أى حوار حول أعمالى أو ما يكتب عنى» . كان ذلك فى سبتمبر ١٩٧٨.

وفى أثناء مرضه وفى اتصال تليفونى للإطمئنان عليه تذكر توفيق الحكيم هذا البرنامج وتمنى أن يتكرر. فلما مات توفيق الحكيم لم أكتب عنه كلمة رثاء واحدة، ووجدت نفسى أكتب هذه المسرحية، التى أثارت من الحوار والنقاش ما لم أكن أتوقعه قط.

نشرت المسرحية فى مجلة عالم الكتاب عدد يوليو – أغسطس – سبتمبر ١٩٨٨ وقال رئيس التحرير أ.د. سعد الهجرسى فى المقال الإفتتاحى للمجلة إن هذه المسرحية هى «درة العدد».

وفى أول رد فعل مهم على نشر المسرحية انعقدت فى كلية الآداب جامعة القاهرة بتاريخ ٧ / ١٢/١٩٨٨ ندوة حولها شارك فيها الأساتذة الدكاترة عبد العزيز حمودة وهيام أبو الحسين ويحيى عبد الله وآمال مظهر ونسيم مجلى وكلهم من المتخصصين فى المسرح والمشاركين فى الحركة المسرحية بمصر تأليفاً ونقداً.

ومن بين ما جاء فى هذه الندوة الثرية ما قالته د. هيام أبو الحسين «نرجع للسيكو دراما إذا استطعنا أن نسميها – أى مسرحية د. أحمد عتمان – فهى سيكودراما يلعبها توفيق الحكيم على المسرح، لكى نرى من خلالها ما هى القضايا الأزلية، أقول الأزلية وأكررها، التى يفجرها توفيق الحكيم وأريستوفانيس: أولا رسالة المسرح، رسالة المسرح أزلية، ولكنها أيضاً من موضوعات الساعة. يحاول د. أحمد عتمان أن يقول لماذا لا يوجد لدينا مسرح. هذا الموضوع قد قتل بحثا بالنسبة للمسرح العربى

بالطبع وحدث له ردود فعل كثيرة. المسرح العربى الحديث طبعا ولد فى أواسط القرن التاسع عشر، معنى ذلك أن له أكثر من قرن ونصف حتى الآن، ومع ذلك نحن نعيش أزمة مسرحية، أزمة النص المسرحى، أزمة النقد المسرحى، أزمة الفن المسرحى فأعتقد أن الثلاثة عناصر تعانى بالفعل من أزمة فلماذا؟ يقول د. أحمد عتمان لا توجد لدينا عقلية درامية هذا صحيح، ولكننى أود أن أضيف إلى ذلك أنه ليست لدينا ثقافة مسرحية»

ثم تضيف د. هيام أبو الحسين:

«ولذلك رأينا المؤلف الألمانى جيته مثلا فى بداية مسرحية «فاوست» بدأ بمشكلة المسرح، مشكلة الشباك وحصيلة المسرحية التى يود أن يحققها المسئول عن المسرح، ومشكلة المؤلف المسرحى الذى يصر على أن يقدم إنتاجاً عاليا مرتفعا ورفيعا، يكتب له البقاء ولا يزول بزوال اسمه ودخوله إلى عالم الوفيات وإن لم يكن قبل ذلك. هذه المشكلة أيضاً أثارها يونيسكو فى القرن العشرين. وفى مسرحية أخرى أرى أن الدكتور أحمد عتمان تأثر بها جدا هنا، وهى مسرحية «مرتجلة ألما». فى هذه المسرحية يرى يونيسكو كما هو الحال فى إحدى اللوحات فى هذه المسرحية التى بين أيدينا عندما نرى توفيق الحكيم فى سبات عميق على مكتبه وحوله الأوراق المبعثرة، يونيسكو يظهر أيضاً بهذه الصورة فى بداية المسرحية ثم يأتيه ثلاث مخرجون الواحد تلو الآخر ويثير معهم مشكلة العلاقة بين المؤلف والمخرج، المؤلف فى نظر يونيسكو وفى نظر توفيق الحكيم هنا أيضاً لابد من أن يأخذ وقته الكامل، لابد من أن يكتب بناءاً على خلفية ثقافية ولكن أيضاً كتاباته تنبع من داخل نفسه. وفى نفس المسرحية يقول يونيسكو أنا أعمل وتراه نائما، إنه نائم ظاهريا من الناحية المادية ولكن اللاوعى

مستيقظ. توفيق الحكيم أيضاً فى هذه المسرحية ينام أو هكذا يبدو، ولكن اللاوعى المستيقظ نراه فى الجهة الأخرى من المسرح ويترابط الوعى واللاوعى لكى يصل بالإبداع إلى قمة التعبير عن النفس البشرية والإنسانية، وعن المشاغل التى تعيش داخل نفس الفنان وهو يعبر عنها، وهو يعبر أيضاً عن مشاكل عصره. هذه الجدلية إذن بين النقد وبين التأليف وبين الإخراج أعتقد أنها فى نظرى أكبر المشاكل التى تثيرها هذه المسرحية».

أما د. عبد العزيز حمودة فيقول:

«واضح أننا أمام مسرحية ساخرة بالغة السخرية التى تقترب فى بعض مشاهدها إلى حد - «الفَارْسْ» الفاقع - وفى هذه النقطة تكمن قوة النص الذى أمامنا، قوته الحقيقية. فمثلاً، المشهد المبكر فى المسرحية الذى يقدم فيه د. أحمد عتمان توفيق الحكيم ومعه حمار. المسرحية ليست لها علاقة بالحكيم إلا بالاسم. المؤلف المسرحية مسرحية إسقاط سياسى، وسياسة مباشرة وجميلة جداً».

ولقد ذكرنا هذا الرأى بمقولة أخرى مناقضة تماماً، إذ أن ابنة توفيق الحكيم نفسها - السيدة زينب - عندما قرأت المسرحية قالت لى: «هكذا بالضبط كان أبى، هذه هى أقواله، وتلك هى أفعاله وكأنك كنت تعيش معنا».

على أية حال: يضيف د. عبد العزيز حمودة قوله: «المسرحية على هذا الأساس أنا أعتقد أنها مسرحية كوميدية تجمع ما بين السخرية اللاذعة وبين النقد السياسى العنيف، ولهذا لا نستطيع أن نطبق عليها قواعد أو مقاييس البناء الأرسطى. وما دمنا بصدد الحديث عن البناء واضح أننا أمام الاسكتشات يربطها أو ينظمها أى ينظم عقدها وجود الحكيم على

سرير المرض أو على سرير الموت. هذه هى الخدعة التى دخل بها علينا د. أحمد عتمان فى المسرحية».

وجاء أيضاً على لسان د. عبد العزيز حمودة: «وأنا مرة أخرى أؤكد إعجابى الشديد بهذا العمل لو استطعنا أن نضع أيدينا حقيقة على كم السخرية اللاذعة. بل إننى لا أفشى سرا إذا قلت إننى أثناء قراءتى لهذا العمل ليلة أمس اكتشفت أحمد عتمان الجديد بالنسبة لى. عنده قدرة على السخرية رهيبة، فمشهد الحمار هذا قمة من القمم والمشهد الثالث أيضاً».

وجاء فى كلام الدكتورة آمال مظهر معلقة على الطابع الأريستوفانى للمسرحية حيث كان المشاهدون الإغريق يحظون فى مسرحياته بمتعة مزدوجة متعة ممارسة نقد الحكام ومتعة مقارنة الملامح الحقيقية للشخصية بملامحها فى القناع الذى يضعه الممثل على وجهه فسألت الدكتورة آمال مظهر المؤلف قائلة «هل تظن أن هذا يصلح لعصرنا سواء فى بلادنا أو حتى فى أرقى المجتمعات؟ إنه بمجرد قراءة اسم هذه الشخصية أو تلك فى مسرحيتك يقفز إلى الذهن مباشرة الاسم المقابل له فى حياتنا... ألا تخشى أن يرفعوا عليك قضية؟»

وبينما كنت أشارك في فعاليات مهرجان مسرحى إقليمى فى بورسعيد صيف عام ١٩٩٠ عرفت بالمصادفة أن نادى المسرح بقصر الأقصر يجرى بروفات على المسرحية فسافرت إلى الأقصر وحضرت العرض الذى بدأ ٣/ ٧/ ١٩٩٠ بإخراج يسرى السيد. وكان عرضاً بسيطاً للغاية يقوم به شبان متحمسون بدون إمكانات أو تجهيزات مسرحية مناسبة، ولكننى فرحت بهذا العرض الذى يقوم به هواه ويتم فى عمق الصعيد وعاصمة آثار العالم وكان العرض بالنسبة لى مفاجأة سارة.

وقبل سفرى إلى الأقصر كان المخرج عبد الستار الخضرى قد بدأ

المناقشة معى حول إخراج المسرحية. وبالفعل بدأ الاستعداد للعرض وحضرت معظم البروفات وتناقشت مع المخرج والممثلين والحضور حول المسرحية عشرات المرات. وبدأ العرض يوم ١٩٩١/٧/٣.

مما أشقانى أثناء عرض مسرحينى «الحكيم لا يمشى فى الزفة»، على مسرح السامر، أن هذه المسرح فى الواقع ليس مسرحا من حيث التجهيزات اللازمة للعرض، إذ لا وجود لها هناك فى الواقع، بل إن جدران المسرح كانت مفتوحة على السيرك القومى.

ولذلك كان كل ممثل – ولا سيما من كان يؤدى دور توفيق الحكيم طريح الفراش فى مرضه– عليه أن يصارع الأسود والقرود والدببة لكى يصل بصوته إلى الجمهور. تعذب إذن الممثلون والجمهور وهم يشاهدون مسرحية تقدم تكريما للذكرى الرابعة لتوفيق الحكيم. ومما خفف من معاناتى أننى تذكرت معاناة كل من بلاوتوس وترنتيوس فى المسرح الرومانى القديم حيث سقط عرض مسرحية «الحماة» لترنتيوسس مرتين ولم تنجح إلا فى المحاولة الثالثة، إذ كان الجمهور يترك العرض منجذباً للأكروبات وألعاب السيرك أو أية إغراءات أخرى.

ولأن مسرحية «الحكيم لا يمشى فى الزفة» تنقد «كدابين الزفة» فى حياتنا الثقافية والمسرحية فلقد امتنعوا والحمد لله عن مشاهدة المسرحية، بل شرعوا فى محاربتها ومقاطعتها إعلاميا.

وكلما زادت حملتهم على المسرحية زادت سعادتى، لأن هذا بالضبط ما كنت أسعى إليه: أن يرى «كدابين الزفة» أنفسهم على المسرح عرضة للسخرية.

وزاد من سيعادتى أن المثقفين الجادين حرصوا على مشاهدة المسرحية حتى فى ظل هذه الظروف الصعبة للعرض بمسرح السامر.

وعقدت حول العرض وحول توفيق الحكيم عدة ندوات اشترك فيها مهدى الحسيني ود. سامح مهران، اللذان حضرا معظم البروفات وكل ليالى العرض تقريباً، ومعهم حازم شحاتة ود. نهاد صليحة. واشترك فى الحوار حول المسرحية وحول توفيق الحكيم المخرجان أحمد عبد الحليم مدير المسرح القومى آنذاك وعبد الغفار عودة مدير قطاع الفنون الشعبية.

ومن النقاد الذين أسعدنى الحوار معهم د. إبراهيم حمادة والاستاذ فؤاد دوارة - رحمهما الله - وهما غنيان عن التعريف بفضل جديتهما وإسهامهما المثمر فى النقد المسرحى المنهجى.

وفى إحدى ليالى العرض انتقل مدير الأوبرا آنذاك د. طارق على حسن مع المخرج محمد سالم ليشاهدا العرض بمسرح السامر. وهذه البادرة فى حد ذاتها تشهد للرجلين بالتواضع والجدية. ودار حوار بعد العرض وانتقد أحد النقاد المسرحية نصا وإخراجا وعرضاً، وفوجئت بالدكتور طارق على حسن يتصدى للرد على هذا الناقد مما اضطر مدير الندوة لدعوته إلى المنصة. وبعد حوار طويل تقرر استضافة المسرحية على خشبة المسرح الصغير داخل الأوبرا.

وولدت المسرحية من جديد بالأوبرا، وملىء المسرح عن آخره طوال ليالى العرض الثلاث. وكان من بين المتحدثين في ندوات الأوبرا د. صلاح فضل ود. هدى وصفى، وكاتب المسرح الأصيل والرائد ألفريد فرج. وشرفنى بحضور العرض فنانون ومثقفون بارزون مثل أمينة رزق ود. حسن حنفى ود. المصرى حنورة ود. منى ميخائيل أستاذة الأدب العربى بنيويورك التى تحدثت بحماس بالغ عن العرض وقالت بالحرف الواحد، «لقد جئت مشحونة ضد هذا العرض. إذ قيل لى إنه عرض سيىء وستضيعين وقتك فاكتشفت نقيض ذلك تماماً. إنه عرض يصلح لتقديمه

فى برودواى بنيويورك «لقد فشل إذن «كدابين الزفة»، فى تشويه الحقيقة سواء فيما يتصل بالعرض المسرحى أو بتوفيق الحكيم نفسه.

وفى نهاية ليالى العرض كاد الممثلون يبكون لأنهم أحبوا العرض بعد عناء طويل مع النص ومع ملابسات وظروف مسرح السامر. كانوا يتمنون الاستمرار. وفى مقدمتهم ممثل دور الحكيم نفسه وهو توفيق عبد الحميد، أما المخرج عبد الستار الخضرى فقد عانى الأمرين لأنه ما أن وصل العرض إلى مرحلة النضج حتى توقف وبالطبع لم يفكر التلفزيون فى تصويره. ولكن المخرج مثلى عندما يتذكر هذه الأيام وعندما تمر ذكرى توفيق الحكيم عاماً بعد عام نشعر بأننا قدمنا شيئاً بسيطا لهذا العملاق الذى لم يكرم كما ينبغى لا فى حياته ولا فى مماته. وإن كان قد نال حظاً وافرا من التقدير فى أوروبا. وفى عام ١٩٩١ جاء وفد إيطالى من جامعة باليرمو فى إيطاليا ليقدم فى ندوة بالمركز الثقافى الإيطالى ترجمتين لمسرحيتين مصريتين. ومن حسن حظى ومن دواعى شعورى بالفخر أن مسرحيتى «كليوباترا تعشق السلام» كانت إحدى هاتين المسرحيتين. أما الثانية فهى «الطعام لكل فم» إحدى روائع توفيق الحكيم الذى قدمت له أكثر من مسرحية فى عروض ناجحة بمسارح إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وأمريكا وروسيا واليونان وغيرها. وما زلوا فى مصر يعتبرون مسرحياته من «المسرح الذهنى» أى غير قابلة للعرض.

ومن ردود الفعل التى أثلجت صدرى ما صدر عن كل من الكاتبين المسرحيين المبدعين يسرى الجندى وأبو العلا السلامونى ليلة «البروفة چنرال» – وكانا مسئولين عن المسرح فى الهيئة العامة لقصور الثقافة. إذ علقا على مسرحية براكسا وهى مسرحية داخل المسرحية فقالا فى شىء من التعجب: «إنها إذن براكسا عتمان وليست براكسا توفيق الحكيم ».

فلقد حرصت في هذا الجزء أن أحاكي الحكيم محاكاة توحي بأنني أقتطفه اقتطافاً من الحكيم. وفي نفس الوقت حرصت على أن يكون المضمون شيئاً مختلفاً تماماً.

كان للعرض على مسرح السامر نكهته الخاصة بالفعل، فعلى الرغم من الصعوبات الهائلة التي واجهت العرض كان الجمهور يواظب على الحضور، وكان المثقفون بصفة خاصة حريصين على متابعة هذا العرض. وكان الندوة التي تعقب العرض كل ليلة قيمة إضافية تتراكم على العرض وتزيده أهمية. ويكفي أن نذكر بعض الأسماء ممن شاركوا في هذه الندوات.

أ.د. فخري قسطندي	أ.د. هناء عبد الفتاح	أ. فريدة النقاش
أ.د. هيام أبو الحسين	أ .د أحمد العشري	أ. عبلة الرويني
أ.د سمير بيبرس	أ . د.سامح مهران	أ. محمد السيد عيد
أ.د نهاد صليحة	أ . د سامح كريم	أمينة رزق
أ. د. فوزية مهران	أ . الشريف خاطر	عبد الرحمن فهمي
أ . د. نبيل راغب	أ . مأمون غريب	
أ. د آمال مظهر	أ . فتحي الإبياري	

وعندما انتقل العرض للأوبرا ٢٤ – ٢٦ يوليو ١٩٩١ وامتلأ المسرح الصغير عن آخره بالجمهور شعرت بالرضا حقاً وعرفت ما يمكن أن يضيفه المكان والتجهيزات إلى العرض المسرحي. وتمنيت أن يكون العرض قد بدأ في هذا المكان منذ البداية.

أما عن أصداء هذا العرض في الصحافة ووسائل الإعلام المصرية والعربية فلم أستطع متابعتها جميعاً، ولا أستطيع حصرها الآن، وسأكتفي ببعض الأمثلة، ولا سيما تلك التي أثارت قضايا مهمة. إذ جاء في مقدمة مقال فوزية مهران بمجلة الهلال، عدد سبتمبر ١٩٩١:

«مسرحية مرحة وساخرة، وبسيطة ومضحكة، عميقة ومحرضة، تحوى خاصية الامتداد، وتعلى نغمة الاتصال. تقيم داخل بنائها الدرامى جسوراً ممتدة عبر التاريخ وتعبر عن مكنونها بصيغة المضارع التام. أى أنها تمتد برؤيتها من قلب الماضى، من نقطة انطلاق الكوميديا الإغريقية القديمة، وعبر بنية الديموقراطية بأثينا إلى تراث توفيق الحكيم المسرحى وحتى واقعنا المعاصر».

وفى ٣٠ يوليو ١٩٩١ وصفت جريدة الاتحاد الاماراتية المسرحية بأنها «صرخة اعتراض فى وجه الاستخفاف بالكلمة المسرحية». وهذا ما ذهبت إليه مجلة النهار (العدد التاسع ١٩٩١) فى مقال بعنوان » مسرحنا زفة : مغنى وراقصة وطبال – د. أحمد عتمان بفتح النار على أصحاب الزفة». وقدم المقال تلخيصاً لإحدى الندوات التى تمت عقب إحدى ليالى العرض فى الأوبرا حيث شارك فيها ألفريد فرج وأمينة رزق.

أما فتحى العشرى الناقد المسرحى المعروف فقد كتب فى الأهرام المسائى بتاريخ ١٢/٨ / ١٩٩١ مقالاً مستفيضاً بدأه بالقول «من مسرح السامر بالعجوزة إلى المسرح الصغير بدار الأوبرا، انتقل العرض المسرحى التجريبى «الحكيم لا يمشى فى الزفة». ثم يضيف فى خاتمة المقال «نجح هذا العرض فى المشاركة فى الإحتفال بالذكرى الرابعة لرحيل كاتبنا الكبير. فإذا أخذ حقه من العرض والانتشار والمناقشة فأغلب الظن أنه سيساهم فى دق ناقوس الخطر المحدق بمسرحنا اليوم وفى المستقبل».

وفى يوم ٢٢ يوليو ١٩٩١ نشرت جريدة «صوت الكويت» الدولية مقالاً بقلم الدكتور سامح مهران بعنوان «جماليات الفن الإغريقى وقيم الانحطاط الثقافى على خشبة واحد. محاكمة توفيق الحكيم فى ذكراه

الرابعة». وجاء فيها ولا يجب أن يخدعنا هذا العرض ولا أن تخدعنا المناسبة، فالمسرحية تخلو من كلمات التمجيد وعبارات التبجيل التى تكال عادة للمحتفى بهم، وتحاول أن تلتقط عنصراً تنطلق منه لمناقشة أثر الكتاب فى محيطة الاجتماعى «ويرى سامح مهران أن المسرحية تحاكم أيضاً ثورة ٢٣ يوليو وأنها عمل مسرحى مركب.

وفى مقال بالأهرام ويكلى ١١ يوليو ١٩٩١ بعنوان «الإنسان والقناع» "The man and the mask" ناقشت د. نهاد صليحة شخصية توفيق الحكيم والقناع الذى واجه به العالم، ومشكلة المسرح الذهنى، وأبدت بعض الملاحظات على بناء المسرحية ومضمونها ولا سيما انحياز المؤلف لقيم المسرح الإغريقى وجمالياته. وامتدحت قدرة العرض على الإمتاع والسخرية المضحكة.

أما عبد الفتاح البارودى ففى مقالة اليومى بالأخبار ١٩٩١/٧/٣ أشاد بالمسرحية وقال «يعطينا الدكتور عتمان نموذجاً لكيفية تقديم التراث الدرامى فى صياغة جديدة ورؤية معاصرة، وأيضاً يعطينا نموذجاً لكيفية استخدام الكوميديا أداة للنقد. وهنا ينقد الدكتور عتمان سلبيات حياتنا الثقافية والمسرحية».

تكفى هذه الأمثلة وآن الأوان لكى أعبر عن سعادتى بهذه الأصداء الغزيرة والعميقة سواء فى ترحابها أو فى اعتراضها. فهذه الأصداء هى التى منحتنى المتعة الحقيقية والنشوة الجزلية. حقاً فهذه الأصداء - بالنسبة لى - تضمن لمسرحيتى البقاء.

أحمد عتمان

الشخصيات بترتيب ظهورها

الممرضة	فى مقتبل العمر، بدينةٌ بعض الشىء
فؤاد لمعى	صحفى بارز ونصف مثقف.
شوشو	مذيعة التلفزيون، تتحدث بيديها وحواجبها ولسانها الأعوج.
الحكيم	عملاق المسرح.
رفعت فهمى	ناقد واثق بنفسه
يسرى أبو المكارم	مخرج مسرحى مشهور.
عامل ١	
عامل ٢	يعملون على خدمة الحكيم بالمستشفى.
عامل ٣	
أريستوفانيس	الشاعر الإغريقى القديم.
المخرج	شخصية تظهر فى الحلم.
بترو :	زوج براكسا.
كوستا	جاره.
براكسا	زوجة بترو وزعيمة النساء.
الزعيمة الأولى	من الواقع وهى فى الأربعينيات من عمرها.
هيرونيموس	شاب ملتح يمثل القوة والعنف.
أبقراط	كهل أصلع يمثل العقل والحكمة.
سحر وصفى	راقصة، ساحرة الجمال، وممشوقة القد وتتحدث بكل أعضاء جسمها.

اللوحة الأولى

(فى الركن الأيمن من خشبة المسرح.... حجرة فى المستشفى التى يقيم فيها الحكيم وهو طاعن فى السن، واهن القوى، أبيض الشعر، يضع على عينيه عدسات طبية سميكة، يرتدى البيرية، يمسك عصاه بيده اليسرى، ويرقد على السرير، ويتزين الحائط على يمينه بلوحة زيتيه ضخمة لحمار فى متوسط الحجم والعمر. تقف ممرضة شابة وبدينة بجوار سرير الحكيم وفى يدها حقنة. إنها على أهبة الاستعداد دائما لحقن الحكيم، الذى بين الحين والآخر يغيب عن الوعى. تظهر كاميرا التليفزيون وميكروفونات الإذاعة وآلات التسجيل).

الممرضة: من فوق برج المقطم... الله... الله... على جمالها، أكبر وأعلى مستشفى فى الشرق الأوسط... حتى فى أسعارها ما حصلتش... سيداتى ساداتى باسم مستشفى أرابكو للتجارة والمقاولات... يسعدنى أن أحيى حضراتكم... ويشرف رئيس مجلس إدارة أرابكو والعضو المنتدب رئيس مجلس الشعب المهندس فرحان محمد فرحان أن يرحب بكم هنا فى المستشفى الذى أقامه صرحاً منيعاً للصحة. أما مدير المستشفى مفتاح فتحى أبو الفتوح فقد كلفنى أن أعبر لكم عن سعادته القلبية – أصله عنده القلب – بوجودكم بيننا – وهو شخصياً الذى يشرف على علاج الكاتب العظيم مؤلفنا الحكيم (يسلط الضوء على سرير الحكيم)، ولكن اسمحوا لى أن أنقل إليكم تعليمات الأطباء المعالجين: أولا: الحرص الشديد على

عدم إجهاد المريض. ثانيا: ممنوع منعا باتا توجيه أي أسئلة حرجة. ثالثا: قد يفقد الحكيم بين الحين والحين وعيه... ومطلوب منكم سيداتي ساداتي أن تشغلوا وقت فراغكم هذا بشيء مفيد وبالمناسبة هناك خبر سار. فإدارة المستشفى تكريما لضيفها الكبير قررت أن تعالجكم بالمجان... سنبدأ بإجراء فحص عام لكل منكم.. وكل من يثبت أن به علة... سيتم حجزه بالمستشفى للعلاج.

(همسات وغمغمات اعتراض).

حسنا... حسنا.. المستشفى على علم بأن بعضكم يعاني مشاكل أكثر ألماً من أي مرض... ولذا قررت تقديم معونات أي هبات... لا... هدايا عينية و ...

فؤاد لمعي: مثل... مثل... هه.. فرحينا ياحلوة...

الممرضة: لا... دي مفاجأة... وعلى فكرة نحن لا ننتظر منكم أي مقابل... يكفي مستشفى أرابكو للتجارة والمقاولات أن يزين اسمها كل صباح عناوين صفحات جرائدكم... وأن يتردد اسمها في الإذاعة صباحاً ومساءً كل يوم.. فأنتم بالقطع ستطمئنون جماهير الحكيم وأحباءه القلقين على صحته... ولن تنسوا المستشفى في كلامكم.

فؤاد لمعي: (مخاطبا زملاءه الإعلاميين) زملائي الأعزاء بعد أن اطمأنت نفوسنا بالهدايا القيمة من مستشفى أرابكو المجيدة... أعتقد أنه قد آن الأوان للاطمئنان على صحة الحكيم نفسه.

الممرضة: طبعا يمكنكم الآن أن تبدأوا عملكم... وأرجو مراعاة التنبيهات التي ذكرتها لكم.

شوشو: (تمشط شعرها) سيداتى ساداتى... من فوق برج الجزيرة... عفوا... قصدى من برج المقطم من مستشفى الكرم كله... وبالحب كله... من مستشفى أرابكو للتجارة والمقاولات... بنوجه لكم باسم برنامجكم المفضل «كلام فى كلام».. كل تحية وحب... وإعزاز... وكلكم طبعا متشوقين تشوفوا الحكيم وتسمعوه... وتقولوا له الحمد لله على السلامة... الحكيم أستاذ الأجيال وعملاق الأدب وفارس الأحلام والخيال... الحكيم اللى بفضله استطعنا أن ندخل هذا الحصن الحصين مستشفى أرابكو... أمال كنا هندخلها إزاى... أنتوا عارفين طبعاً الأسعار وارتفاعها... والمستشفى نفسها فى أعلى مكان بالبلد... الحقيقية حاجة تشرف مصر كلها، كنت أتمنى أن تكونوا كلكم معانا هنا فى المستشفى.... وتشوفوا اللى أنا شايفاه..و.

فؤاد لمعى: (مقاطعا): كفاية يا شوشو، يستحسن نسمع الحكيم... الحكيم نفسه يتحدث إليكم أيها الزملاء... الأعزاء

الحكيم : (بصعوبة) أبنائى وبناتى... لماذا أجهدتم أنفسكم بزيارتى... وأنتم تعرفون أن كل شيء فى جسمى قد توقف عن العمل... فلم يبق لى إلا العقل والقلب... فهما يعملان على ما أظن بطاقتهما المعتادة.

شوشو: (تصلح من شأن ملابسها ومظهرها) يافندم لو سمحت سيادتك أنتهز هذه الفرصة ياريت نعرف المشاهدين عن العلاقة اللغوية بين الطاقة والبطاقة.

الحكيم: (يتأفف ويتوجع)...

شوشو: (تواصل) سيادتك عارف أن كل واحد فى مصر له بطاقة حسب الطاقة... واحنا حتى بالبلدى الواحد يقول كده يعنى إنه بياكل ثلاث طاقات وينطقونها كده «طَاّت»... وقبل ما أترك لسيادتك المجال لشرح هذه المشكلات اللغوية التى نواجهها فى حياتنا اليومية... ومن باب الفضول فقط... ياترى بطاقة حضرتك لونها أيه... أحمر واللا أخضر؟... قول... اتفضل!.

الحكيم: (بصعوبة بالغة): يابنتى أنا ماليش بطاقة خالص... زمان... زمان قوى لما سافرت باريس... كان عندى جواز سفر..

شوشو: (تفتح عينيها وترفع حواجبها): رائع رائع جدا... كده سيادتك حسمت القضية فعلا.. لكن أنا نسيت أسأل حضرتك عن علاقة البطاقة بالطاقة... أنت سيد العارفين بالفولكلور... زمان... زمان قوى كانوا بيبصوا من طاقة موش شباك... فعل هناك علاقة يافندم بين الطاقة وبطاقة سيادتك؟

الحكيم : (يشير بيديه ويفهم أنه يشعر بدوران وتسقط رأسه على الوسادة).

الممرضة : (وهى تشمر عن ساعد الحكيم وتعطيه الحقنة) أنا قلت ألف مرة... يا حضرات السادة والسيدات (تنظر للمذيعة التليفزيونية) وأنت بالذات... بلاش الأسئلة الصعبة... أنا نفسى موش فاهمة حاجة خالص من اللى أنت قلتيه يا هانم... موش عاوزين هنا ثقافة.. ارحموا الرجل وارحمونا واللى موش عاجبه مع السلامة...

شوشو: (بفرح وسذاجة) آسفة... أنا آسفة جداً.. دانا حتى ماسكة نفسى على الآخر... وعندى أسئلة صعبة خالص وآراء عويصة

جدا... جداً.

الممرضة: .... وبرضه لسه هاتقولى أكثر من اللى قلتيه؟

شوشو: (بشيء من التعالم) قريت يا لمعى كتاب الحكيم «واكسة... واكسة الحكم»؟

فؤاد لمعى: (ضاحكاً) قصدك «براكسا أو مشكلة الحكم».

الممرضة: (تربت على جبين ووجنتى الحكيم) قوم يا بطل... أنت رجل عظيم... (تخاطب الحضور) إنه الآن على ما يرام وقد استرد وعيه... ويمكنكم مواصلة الحوار معه... لكن حذرا من الأسئلة المرهقة...

فؤاد لمعى: (يخاطب الحكيم) ياعملاق الأدب العربى... عندى سؤال مهم جداً... أتسمح لى؟.

الحكيم : تفضل يا ابنى.

فؤاد لمعى : ما شعورك الآن... وأنت تقيم هنا فى برج المقطم... وتشاهد القاهرة... من هذه القمة الشاهقة... صف لنا حالتك وأنت بين الحياة... و... و... (يتلعثم) هذا ببساطة هو سؤالى.

الحكيم : أنا ياابنى ألعب فى الوقت الضائع... أشعر بأن الموت قد نسينى منذ أمد طويل... أنا فى انتظاره... وسيأتى حتما... وربما الآن فى هذه اللحظة... ولكننى أعمل بحكمة القول المأثور من جاءه الموت وفى يديه فسلة ولم يستطع أن يغرسها... فليغرسها.

شوشو: (فجأة) بس يغرزها فين يافندم ويغرزها ليه؟ وما علاقة ذلك بالغريزة؟ هى مسألة غرز وبس...

فؤاد لمعى: (ينظر إلى شوشو باشمئزاز... ويصمت لحظة ثم يخاطب

الحكيم) على أية حال يا أستاذنا الفاضل لوحظ فى الفترة الأخيرة اهتمامكم بالسياسة... وهنا يهمنى أن أنقل إليك وجهة نظر جيلى من شباب المثقفين.

الحكيم : بكل سرور... فمن الشباب ينبغى أن نتعلم الكثير.

فؤاد لمعي: إنهم يعترضون على آرائك السياسية ويقولون إنك فى مطلع الثورة رحبت بها... وسميتها الحركة المباركة... وأثنيت بالذات على عبد الناصر... فلما مات نشرت كتابك «عودة الوعى» وهاجمت عصر عبد الناصر... وكان ذلك ضرباً من الغزل للسادات وعصره.

الحكيم : اسمع يا ابنى... أنا الآن على فراش الموت ولا أخاف شيئاً ولا أمل فى شيء.. أنا حر تماما الآن.

فؤاد لمعي: حسنا.

الحكيم : وأنا سعيد بروح التململ أو حتى التمرد لدى الشاب من أمثالك. أنا لا أطالبهم بأن يقبلوا منى كل شيء على عواهنه... ولكن ليس لهم أن يصادروا حريتى فى التعبير عما يجول بخاطرى.

فؤاد لمعي: ولكنهم يحبونك... ويتخذونك قدوة و...

الحكيم : (مواصلا) انتظر... لأكمل حديثى... لقد عشت طول عمرى لا أنتمى لحزب من الأحزاب، لأننى فضلت أن أكون حراً وأن أترك قلمى طليقاً، وأتحدى أى إنسان أن يجد فى ما سطره قلمى ما يدخل فى باب النفاق... أنا أمقت المنافقين بصفة عامة... أما المنافقون فى دنيا الثقافة فهم كالحشرات التى تحمل عدوى أمراض فتاكة وعلينا أن نجتث جذورهم من المجتمع إذا أردنا له صلاحاً...

فؤاد لمعي: فلم غيرت مواقفك؟

الحكيم : أن أخطىء وأعود للصواب أمر طبيعي... وأن يثبت أن آرائي كانت خاطئة أمر طبيعي... المهم ألا أكون منافقاً متآمراً... متلاعبا بعقول الناس... وأقول ما أومن به... ولكن الشائعة انطلقت بأن «عودة الوعي» ليست سوى اتهام لثورة ١٩٥٢ وغرضي هو القضاء عليها والعودة إلى ما كان قبلها. وهذا الكتاب هو بالفعل اتهام... ولكنه في الحقيقة اتهام لنفسي، لأني تنبهت إلى خطأ جسيم وقعت فيه ، وما كان لمفكر حر أن يغفل عنه. وهو أن ثورة ١٩٥٢ بهرتني بإنجازاتها الأولى وحسبتها حققت أملي الذي نشرته في كتابي «شجرة الحكم» قبل ظهور هذه الثورة بسنوات بأن المنقذ لمصر من فوضى الحكومات الحزبية الفاسدة هو ظهور ثورة أخرى شابة سميتها «الحركة المباركة» وكان ذلك في كتاب منشور وفي عهد الملكية عهد فاروق. لم أفطن إلى أن الثورة ليست مجرد إنجازات كنا ننتظر نحن دائما القيام بها... ولكنه جو نتنفس فيه – ولقد اتضح لنا شيئاً فشيئاً أن جو هذه الثورة الشابة هو «جو خانق».

فؤاد لمعي: ولكن عندما يخطىء الحكيم ماذا يترك للآخرين؟

الحكيم : يا ابني... أجهزة الدعاية والإعلام في عصرنا الحديث تساهم كثيراً في تعتيم الرؤية حتى على أكثر الناس حنكة وحكمة... ذلك أن هذه الأجهزة تمتلكها وتديرها السلطة الحاكمة... وقبل كل شيء وبعد كل شيء أنا لم أقل عن نفسي أنني مفكر سياسي ولا منظر إيديولوجي... بمعنى أنني لست متخصصا

فى هذه المجالات... وإن كنت كمبدع... وفنان - يعنى - أدلى
بدلوى فيها بين الحين والحين.

رفعت فهمى: (يضع عدسات طبية على عينيه... ويدخن البايب) أستاذنا
الحكيم منذ بداية لقائنا هذا... آثرت الصمت لأستمتع بعذب
الحديث الفياض منكم ... حتى قلتم سيادتكم أنك لست مفكراً
سياسياً... أليس كذلك؟

الحكيم: بلى...

شوشو : (فى دهشة) يعنى إيه بلا؟ بلا إيه يعنى؟ الدنيا أصلها مليانة
بلاوى يأستاذ... مابيفهموش... ياريت توضح كلامك.

فؤاد لمعى: (يضرب كفا بكف) أشرح لك أنا يا شوشو الأستاذ قصده بلا
قافية اتكتمى.. أسكتى خالص...

رفعت فهمى: (مواصلا حديثه) فلماذا تكتب فى السياسة إذن ؟

الحكيم: أكتب فى السياسة لأنى مواطن... اسمع يا ابنى... السياسة
ليست كما يظن البعض قاصرة على شئون الأحزاب أو علاقة
الحاكم بالمحكوم... السياسة معناها أوسع من ذلك بكثير...
السياسة يا ابنى تشمل كافة نواحى الحياة... وينبغى عليك ألا
تنسى.

رفعت فهمى: أنسى ماذا؟

الحكيم : إنك حيوان... سياسى.

رفعت فهمى: أنا؟

الحكيم : وأنا... (مشيراً إلى الصالة) وكل إنسان هنا حيوان سياسى.

شوشو : (بفرح) هذه لفتة جميلة من الحكيم (تخاطبه) والحمار اللى فوق
حضرتك ده أظن يؤكد هذا البعد السياسى للجدل الدائر فى

أرواقة... أروقة الـــ......

فؤاد لمعي:..... (مقاطعا) ستوب... هيه... أنت رايحه فين؟ كفاية عليك كده... ياشوشو.

رفعت فهمي: (ينفخ دخان البايب) على أيه حال يا أستاذنا الناس حائرون... فى تصنيفك.. هم يسألون أنت يسارى؟.. يمينى؟ وحتى فى الفن من تكون؟ روائى... كاتب مسرح.. ناقد.. مفكر فيلسوف.. صحفى.. من تكون؟

الحكيم : أنا... لست شيئاً من هذا أو ذاك، أنا فقط أبحث عن الحقيقة أينما كانت وبأية وسيلة تتاح لى... لا تنسى أننى فى الأصل وكيل نيابة مهمته الأساسية انتزاع الحقيقة انتزاعا... باختصار أنا يا ابنى مثل أوديب الذى ظل يبحث عن الحقيقة طول عمره... فلما اكتشفها فقأ عينيه، ولكنى أفضل الموت على أن أفقد بصرى.

رفعت فهمي: أستاذنا الفاضل.. دعك من أوديب وغير أوديب.. وتخل قليلا عن ميلك الغريزى لإثارة الألغاز والزوابع حول فنك وفكرك.

الحكيم : أنا... عندى ميل غريزى لذلك؟.

رفعت فهمي: ألست أنت من زعمت ذات مرة بأنك لا تكتب أعمالك للمسرح... وإنما للقراءة والتدبر؟

الحكيم : نعم أذكر أننى قلت شيئاً من هذا.

رفعت فهمي: أخذ البعض مقولتك هذه... وبنوا منها نظرية فى النقد المسرحى... وأطلقوا على كافة أعمالك اسم «المسرح الذهنى»... ونسى هؤلاء أنك بدأت حياتك الأدبية والفنية مع فرقة عكاشة المسرحية.

الحكيم: ليست وظيفتى على أى حال أن أنظر لمسرحياتى وأضع لها النقد، ولا حتى أن أصحح للنقاد والمنظرين أراءهم... بل أنا الذى أفيد مما يطرحونه.. ولطالما بصرنى النقاد النابهون إلى بعض الجوانب فى أعمالى الفنية التى ما كنت لأنتبه إليها لولا أن أناروا لى هم تلك الجوانب.

رفعت فهمى: هذا قول لا يصدر إلا عن فنان مبدع ورائد يثق فى موهبته وقلمه... ولكن بأذنى هذه سمعت أحد المسئولين عن نشر الثقافة فى بلادنا وهو يقول إن الحكيم ليس مولفاً مسرحيا.. بل هو مفكر يصوغ أفكاره فى شكل حوارى.

الحكيم : هذه وجهة نظر....

رفعت فهمى: ولكن الناس جميعا يعرفون أنك عملاق المسرح العربى.. وتعتبر مسرحيتك «أهل الكهف» التى بها بدأت الفرقة القومية للتمثيل أى المسرح القومى عام ١٩٣٤ / ١٩٣٥... ويقول المؤرخون للمسرح العربى إن «أهل الكهف» هى بداية عصر جديد.

الحكيم: هذا ليس ذنبى.

رفعت فهمى: المشكلة تكمن فى أنك أحيانا تطلق بعض الأقوال التى تبدو مزاحا تداعب به الحياة الثقافية.. أو تجذب بها وسائل الإعلام إليك ظنا منك أنهم يتجاهلونك أو خوفاً من أن ينساك الناس، المهم مع مرور الزمن يثبت أن هذه الأقوال هى قنابل ومتفجرات موقوتة وملقاة بعناية فائقة لتحدث تأثيرات ما تستهدفها ولا يفهم الناس ذلك فى حينها.

الحكيم: (ضاحكا) ولكنى لا أعرف كيف أمسك بشىء غير هذه العصا...

وتقول قنابل ومتفجرات (يضحك).

رفعت فهمي: (مواصلا) ويأخذ صغار النقاد ومحترفو الإثارة هذه الأقاويل على أنها مسلمات وبديهيات... ويدور النقاش ويحتدم الخلاف وأنت قابع في مكانك لا تحرك ساكنا.

الحكيم : (يضحك)...

رفعت فهمي: (بحدة) لا تضحك.. إني أتهمك بأنك المسئول عن معظم الأخطاء والأغلاط الشائعة حول أدبك وفكرك... ومسرحك.. وأرائك السياسية وكل شيء عنك.

الحكيم : بالطبع... أنا مسئول عن كل ما سطره قلمي أو تحرك به لساني.

فؤاد لمعي: (فجأة) يا نهار أسود... هذه خبطة صحفية.. بكره الصبح الجرائد كلها تطلع بمانشيت «الحكيم يعترف بأخطائه الثقافية والسياسية على فراش الموت» ... (يستدرك) أعني فراش المرض (يضرب نفسه) أيه المصايب دي!

شوشو: (تترقرق الدموع في عينيها) يا مصيبتي! مفاجأة مذهلة... ومحزنة أيضاً (تبكي) الحكيم يعترف... سيداتي ساداتي.. الحكيم يعترف... هذه كارثة... وكسه.. قصدي نكسة بالمصطلح الشائع على الألسنة... شيخ الأدباء يعترف بالأخطاء.. التي أوقع فيها النقاد.. يا مصيبتي!

رفعت فهمي: (يخاطب الحكيم) إذن علينا جميعاً أن نراجع كل أحكامنا النقدية... ولن نصدقك بعد الآن (الحكيم يترنح وتسقط رأسه على الوسادة وهنا يدخل يسري أبو المكارم المخرج).

شوشو: (في دهشة) إيه ده!... أنا موش مصدقة عيني... مفاجأة الموسم... وكل موسم سيداتي سادتي.. الأستاذ يسري أبو

المكارم نفسه معنا... أكبر مخرج مسرحى فى الشرق الأوسط... (يسرى أبو المكارم يحيى الجماهير والحضور برشاقة).

الممرضة: (تسند رأس الحكيم وتستعد لإعطائه الحقنة) يا ظلمة... يا كفرة، قلت لكم ألف مرة بطلوا سخافة وكلام فى الثقافة الراجل هيموت على أيديكم.. استر يا كريم!

يسرى أبو المكارم: تسمحيلى بس.. أبوسه... أبوسه (يهجم على الحكيم ويقبله) أنا كدة ارتحت الحكيم ده ماحدش فاهمه.. قدى... ماحدش بيحبه قدى... (يخاطب الممرضة) النبى بالراحة عليه.. الراجل ده ثروة قومية... أنا عاوز أبوسه تانى (يهم بالهجوم على الحكيم).

الممرضة: ما خلاص.. هى شغلانة.. عيب يا أخى.

شوشو : (تجذبه رليها يا عبقرى مصر.. يا مخرج الروائع .. تمسح لى بـ...

يسرى أبو المكارم: بإيه ؟ عاوزه إيه بالضبط؟!

شوشو: لقاء عابر فى برنامج «كلام فى كلام» لقاء عابر... وبرىء.

يسرى أبو المكارم: أنا برضه.. بتاع لقاء عابر وكلام فى كلام... لا... أنا بتاع شغل على طول.

شوشو: قصدى كلمتين وبس... لأحبائك وعشاق فنك...

يسرى أبو المكار: لا ... الحكاية عاوزة قعدة خاصة.. ومزاج رايق.. وبعدين أنا جاى فى مهمة عاجلة... والخبير الإيطالى قاعد مستنى فى المطار.

شوشو: هذه إذن أخبار مهمة؟

فؤاد لمعي: خبطة صحفية.

رفعت فهمي: وما علاقة ذلك بالحكيم؟

يسرى أبو المكارم: أنا جايب عقد لإخراج مسرحية «إيزيس» فى المعبد الفرعونى نفسه، وعاوز الحكيم يوقع العقد فوراً.

الممرضة: الحكيم لن يعود للوعى قبل نصف ساعة...

يسرى أبو المكارم: (يقترب من الحكيم)، موش مهم يوقع.. يبصم (يحاول مسك يد الحكيم).

الممرضة: إنت أتجننت...!؟

رفعت فهمي: هذا تزوير فى أوراق رسمية.

يسرى أبو المكارم: على العموم أنا مضطر للانصراف الآن... والحكيم موافق على المشروع مية فى المية... وسأبلغ الخبراء الأجانب بذلك... (يسلم للممرضة نسخة من العقد)... وهذه نسخته من العقد... أرجوك... لما يصحى يوقعها ويرسلها بالبريد المستعجل وسأمر عليه فيما بعد (ينصرف بعد أن يحيى الجماهير والحضور برشاقة).

شوشو: سيداتى ساداتى... زى ما انتو شايفين وسامعين... اللقاء بتاعنا هنا ملىء بالمفاجآت والإثارة... المهم (تنظر فى الساعة) باقى حوالى عشر دقائق حتى يصحو الحكيم من غيبوبته.. ونعتذر للسادة المشاهدين أن الغيبوبة المرة دى. طولت شوية... على أية حال هذه فرصتنا الثمينة للتحاور مع النقاد الفذ الذى استطاع فى وقت قياسى، دقائق معدودة فقط أن يفجر أكبر قضية ثقافية فى حياتنا المعاصرة الأستاذ الجليل رفعت فهمى (تخاطبه... وهى تمشط شعرها) حضرتك طبعا... قريت كل

مؤلفات الحكيم.

رفعت فهمي: أبدا والله (يهز رأسه وينفخ دخان البايب).

شوشو: هذه مفاجأة أخرى أعزائى المشاهدين... (تخاطب رفعت فهمى) لكن من أين لك كل هذا الوعى... أقصد استيعاب كل آراء هذا المؤلف الغزير؟.

رفعت فهمي: (يعدل من وضع العدسات الطبية على عينيه) فى الواقع... الناقد الواقع أعنى الواعى يتمتع بشفافية نقدية ويستطيع أن يتعرف على الأشياء الكامنة.. وليس من الضرورى أن يقرأ كثيراً.. بل يستحسن ألا يقرأ كثيراً... الثقافة أحيانا تضر مثل هذا الناقد الواعد والواعر فهى قد تجعل كلامه معقداً وملغزا... وغير مفهوم فى التلفزيون مثلا... وعلى سبيل المثال يعنى... والمشاهدين الأعزاء شايفين دلوقت... كلامنا سهل وسلس.

شوشو: يفهم من كلامك يافندم... يعنى إذا كنت فهمت أن الناقد غير المقف أسهل وأسلس بكثير من المثقف الناقد.

رفعت فهمي: تمام.. كده بالضبط.

شوشو: يا سلام! ده مبدأ نقدى جديد أظن لم يسبقك أحد إلى هذه النظرية... الثقافة... عقد.. وكلاكيع مالهاش لازمة.

رفعت فهمي: براڤو عليك... هى دى الكلمة اللى بدور عليها من شهرين... كلاكيع مفيش غيرها تنفع هنا فى السياق النقدى الجاد.

فؤاد لمعي: (متداخلا) وهذا فى الواقع ينطبق أيضاً على الصحافة الأدبية... هات لى صحفى واحد بس... يكون لامع ومثقف فى نفس الوقت.. ياسادة إحنا فى عصر المتواضعين

الميديوكراسى (Mediocracy) يعنى عصر يتحكم فيه أصحاب القدرات المتوسطة... ولابد من الاختيار بين النجاح والشهرة من جهة والثقافة والتعمق والفقر من جهة أخرى .

شوشو : (بسذاجة) وأنت سيادتك اخترت أيه...؟

فؤاد لمعى: الفقر طبعا... أمال إيه اللى جابنى هنا النهاردة؟

الممرضة: صمتا... صمتا... هس.. يبدو أن الحكيم... سيصحو... اسكتوا.

الحكيم : (يرفع رأسه).

رفعت فهمى: (مندفعا) نفطة تحفظ بسيطة هى أن الثقافة المتعمقة ليست بالضرورة ضرراً خالصا فهى مفيدة أحيانا.. صحيح والله ساعات بتفيد الواحد... على الأقل تعطى للإنسان مظهراً مهيبا.. وبعد ذلك يمكنه أن يقوم أى شىء فيصدقه الناس.. خذ مثلا الحكيم...لو ...

الحكيم: (بمرارة) ياللهول! واحسرتاه ! (تسقط رأسه على الوسادة فجأة).

الممرضة: (بانزعاج شديد تمسك بيد الحكيم) يامصيبتى الراجل باين عليه المرة دى هيموت (تضعف على زر الحائط وتصرخ) الحقونى الدكتور فوراً... الدكتور فورا (تخاطب الحضور) وانتو ياولاد الـ.... أمشوا من هنا... موش عاوز أشوف وش حد فيكو تانى.

(يدخل طبيب وحوله حاشية من مساعديه، يضع السماعة على قلب الحكيم ويحاول تحريك رأسه... ويربت على جبهته.. ثم تدخل عربة غرفة الإنعاش يجرها عاملان.. ويخرج الجميع).

(تدور بداية هذا المشهد فى نفس مكان المشهد السابق أى بالركن الأيمن من المسرح. يعود عمال المستشفى بالحكيم راقدا على حمالة. ثم ينقلونه إلى سريره ويبدأ فى الهذيان والنطق بكلمات متقطعة وغير مفهومة. حالته تتأرجح بين الصحو والغيبوبة... حالة ما بعد التخدير فترة طويلة).

الحكيم: (تصدر عنه أصوات متباينة... بعضها ينم عن الألم وبعضها الآخر غير مفهوم)...

حمارى... أيوه حمارى حكيم فعلا... كله إلا المخرج ده... ابعد عنى يا جدع.. إيزيس أيه!.. وبركسا كمان! ما تسيبونى فى حالى.. أه...صدرى. جنبى. الشمال.. واليمين. كل حاجة...

عامل ١: الراجل ده تعب قوى.

عامل ٢: ربنا معاه.

عامل ٣: الناس كلها بتحبه... ربنا يطول عمره.

عامل ١: يا أخى حرام عليك... أطلب له حسن الختام

عامل ٣: يا بنى آدم.. الواحد لو عنده صحة يعيش ألف سنة...

عامل ٢: الله... هو انتو.. هتتعاركوا على دماغ الراجل.

الحكيم: الله... الله... يا سلام... أنا كده مبسوط على الآخر.... هى دى أسعد لحظاتى فى الدنيا... يا سلام أقعد على المكتب... الكتب كلها تنظر إلى... تخاطبنى تفتح لى أبوابها وكنوزها... وآخذ منها كل اللى أنا عاوزه... وأمسك قلمى... وأكتب اللى أنا عاوزه، مقالة... قصة قصيرة... مسرحية أنا حر... أنا ملك...

سلطان زمانى وسيد أفكارى... قلمى يطاوعنى ويسطر كل ما يخطر لى على بال... آه... دماغى بتلف... مناظر غريبة بتمر قدامى... مخرج دمه ثقيل... ابعدوه... ابعدوه عنى... آه... آه... لكن فيه شخصية غريبة لم أرها من قبل... اسمه يا.. اسمع. يهرب منى... يزوغ... حاجة غريبة... استنى... استنى... يا... (يحاول الحكيم النهوض...) فتسقط رأسه مرة أخرى على الوسادة... ورويدا رويداً يتحول المشهد من الركن الأيمن إلى الركن الأيسر على المسرح حيث يدور المشهد الحالى فى جو الأحلام. يبدو الحكيم الآن شاباً يتمتع بالصحة والنضارة... يقف أمام مكتبته العتيقة حيث تصطف على رفوفها المجلدات الضخمة. وعلى يمينه مكتب كبير تنتشر عليه بعض الكتب المفتوحة والمقلوبة وتتناثر الأوراق والأقلام مختلطة مع الصحف والمجلات. على يسار الحكيم يقف حماره الصغير أبيض اللون).

الحكيم : (يخاطب حماره الصغير) ألا ترى ياصديقى العزيز أن الوقت قد حان للعمل.. هه؟ لم لا ترد؟ على أية حال فالصمت علامة الرضا... (مستدركا) ولكن لماذا تهز أذنيك...؟ أتعترض؟ ما علينا... المهم أن أحضر لك شيئا ما يشغلك لكى تكف عن الثرثرة أثناء قراءاتى (هنيهة توقف وتفكير)... فكرة ! فكرة هائلة! أنت تعرف أنى مشغول هذه الأيام بذلك الشاعر الكوميدى الأشهر... أريستوفانيس (يحملق فى الحمار) ما تبصليش كده... أحنا اتكلمنا مع بعض كثير عنه (يتقدم نحو المكتبة ويلتقط من بين رفوفها مجلداً ضخما) ها هى مسرحياته الإحدى عشرة بنصها الإغريقى على صفحة

وترجمتها الفرنسية على الصفحة المقابلة. ولأننى حرصت طول عمرى على أن أشركك معى فى كل أعمالى الفلسفية والمسرحية... حتى صرت نجما مرموقا فى حياتنا الثقافية... فإننى أرجوك رجاء حاراً ألا يركبك الغرور، تواضع يا أخى فمن تواضع لله رفعه.. حذرا من أن تتكاسل بحجة أن الوقت متأخر أو أن النوم يداعب جفونك ويغالبك... لا.. لا.. أرجوك أن تشاركنى هذا العمل الهام... وأنا لا أطلب منك أن تسرق بعض المشاهد من هذا الشاعر الإغريقى المعروف... حاشا لله.... ولا أن تصوغ لى المسرحية بأكملها يا حمارى العزيز. أنا كفيل بذلك يا صاحبى... اطمئن... اطمئن... تماما... لقد فرغت فعلا من كتابة هذه المسرحية المقتبسة من أريستوفانيس (ينهق الحمار) إيه موش عاجبك الكلام...! سبحان الله! ما علينا... أنا فقط أخشى أن يلومنا النقاد بعد عرضها على المسرح لعدم اطلاعنا على النص الإغريقى الأصلى. (فترة صمت) على فكرة كعادتى سأكشف لك عن سر خطير... فى الحقيقة أنا لم أقرأ سوى الترجمة الفرنسية لمسرحيات هذا الشاعر... بل ولم أفهم كل شيء فيها فهما كاملا... هى دى الحقيقة يا صاحبى... لكن الناس فى بلدنا كما تعرف يعتبروننى ضليعا فى كل اللغات... وسأخجل بالفعل إن عرف أحدهم حقيقة جهلى بالإغريقية... فلنراجع نص أريستوفانيس معا... هذه فرصتنا الأخيرة (يمسك بين يديه مجلد أريستوفانيس ويفسخه إلى صفحات متفرقة يضع الواحدة منها أمام الحمار الصغير ويحتفظ بالأخرى لنفسه وهكذا حتى تنتهى صفحات الكتاب)... النص الإغريقى إليك به... فأنت

ضليع فى هذه اللغة... وعلى أنا دراسة النص الفرنسى من جـديد... والأفـضل أن تقـرأ أنت بصـوتك الجـهـورى... وسأضـاهى أنا بين النص الذى تقرأ والنص الذى بيدى فى صمت. فإذا اكتشفنا فروقا ظاهرة سنفتح باب المناقشة (يتثاءب الحكيم وهو ينزع عن عينيه عدساته الطبية ليضعها على رأس الحمار الصغير. ثم يعود إلى المكتبة بصعوبة، فالنوم يغالبه... يسمع نهيق خفيض للحمار على فترات متقطعة مختلطاً بصياح الديكة الذى يسمع من بعيد، وكذا نقيق الضفادع وشخير الحكيم الذى سقط رأسه المتعب على الصفحات المنتشرة على مكتبه ويغط الآن فى سبات عميق... ظلام لبعض الوقت ثم إضـاءة خـفـيـفـة حيث يزحف أريستوفانيس القادم من عالم الأشباح وأرواح – على رأسه تاج من ورق اللبلاد وبيده عنقود عنب ضخم ضخامة غير كعتادة فى الحياة الدنيا).

أريستوفانيس: (بغضب) يا للكارثة! هزلت! حمار يقرأ مسرحياتى... وينهق ضاحكا من فكاهاتى... حمار!!

الحكيم: (يستيقظ... وينهض مبهوتا... ويجثو على ركبتيه بصورة مضحكة ويقول فى ارتباك) أنا!... لا... أى رب الكوميديا الإغريقية إليك أقدم ذنبى! وأطلب الغفران... لقد تجرأت على أن أشترك معك فى مسرحية واحدة... وإنى لألتمس العذر فى القصور.

أريستوفانيس: قصورا! أتسمى هذه قصوراً؟ إنها جريمة وأى جريمة؟

الحكيم: (متماسكاً) ولكن كثيرين غيرى قلدوك واقتبسوا منك... ومن هذه المسرحية بالذات «برلمان النساء» فلماذا تقسو على هكذا؟ هل لأننى عربى شرقى...؟ الأن أجدادى لم يعرفوا المسرح كما

عرفتموه أنتم أيها الإغريق؟ ولم تحتقر محاولاتى مهما كانت وبهذه الطريقة؟.... أم تراك تعتبرنى بربريا (بسخرية) على عادة أهل أثينا... قومك - دعاة الحرية والديموقراطية - فى معاملتهم للأجانب! تسمونهم «برابرة»... هه!؟. نظرة عنصرية!

أريستوفانيس: لا ياعصفور الشرق... ما إلى هذا قصدت، ولكننى فقط وبعد أن علمت بأن مسرحيتك «براكسا» - كما تسميها - على وشك العرض، جئتك ولا سيما بعد أن أفزعنى صوت حمارك القارىء ذى الصوت الجهورى.

الحكيم: حقا إنه لأنكر الأصوات طرا.

أريستوفانيس: ولا أخفى عليك أنه أزعجنى أيضاً أن تغرقا فى أكوام الكتب الصفراء بينما الممثلون والمخرج منهمكون فى التدريب والبروفات... باختصار هذا المكان لا يناسبك الآن... كان عليك ألا تفارق أعضاء فرقة التمثيل ليل نهار... تذهب معهم أنى يذهبون... تأكل وتشرب ما يأكلون ويشربون وتشم...

الحكيم: أشم !؟.

أريستوفانيس: نعم تشم الهواء الذى يستنشقون، وتفعل كل ما يفعلون... فهكذا تعيش معهم كل ملابسات العرض المسرحى... لا أن تقبع هكذا فى برجك العاجى - وهذا من مصطلحاتكم العصرية - ومع رفيق أحمق كهذا لا يجيد قراءة اللغة الإغريقة (مشيرا إلى الحمار الذى ينهق بصوت عال).

الحكيم: (ينهض ويهندم ملابسه ويعتدل فى وقفته ويتحدث بحزم وثقة) إسمع يا خواجة! إنك تتحدث حقا بلغة القرن الخامس الأثينى قبل الميلاد. حينذاك كان المؤلف يلعب دور المخرج والممثل فى نفس الوقت. أما الآن ياسيدى فعندنا وزير الثقافة له نائب نابه

يشرف على شؤون المسرح، بالإضافة إلى مديرى المسارح ومديرى إدارات المسارح ومديرى الفرق والمخرجين والمخرجين المساعدين والمخرجين المنفذين ومحترفى الرؤية الدرامية الإخراجية. أما عن الممثلين فتمدنا معاهد المسرح بفيض من المخرجين، وتقذف إليها مكاتب القوى العاملة بالكثيرين من هواة التمثيل وغيرهم ممن يقومون بأعباء جسيمة أعفوا المؤلف منها ولم تعد لوجود المؤلف أى ضرورة و...

أريستوفانيس: (مقاطعا وساخراً) هه! عندكم كل أولئك وليس عندكم أهم شيء مع ذلك!.

الحكيم: هذه الجيوش وتلك الحشود... وتقول ينقصنا شيء؟

أريستوفانيس: نعم.

الحكيم: ما هو؟

أريستوفانيس: المسرح... أعى العقلية الدرامية... أنتم بعيدون كل البعد عنها... إن جيوش هيئة المسرح هذه بلا فائدة، فهم يتعاملون مع هذا الفن كموظفين... ولو كانوا فعلا من عشاق المسرح... لشكلوا هم وحدهم جمهوراً عريضاً لمسرحكم الذى غاب عنه الجمهور.

الحكيم: (يتجاهل هذه الإجابة) على أية حال... دعنا نعود إلى موضوعنا الأصلى... أظن أنه لدينا من الوقت ما يسمح بمراجعة بعض مشاهد مسرحيتى «براكسا» وأضاهيها مع النص الإغريقى (يلتفت إلى الأوراق الملقاة أما الحمار بارتباك)... خشية أن يكون قد أفلت منى شيء هام.

أريستوفانيس: لقد أفلت منك كل شيء (يلتفت ناحية الباب ويهمس) لكننى أحس بقادم جاء لزيارتك... إنه المخرج.

(يدخل المخرج... وهو أصغر سنا من يسرى أبو المكارم... ولكنه يذكرنا به على نحو أو آخر).

المخرج: (يقترب من الحكيم) أهلا بعملاق المسرح... أهلا (يلتفت إلى أريستوفانيسس مبهوتا)... أهلا يافندم... يا... ولكن...

الحكيم: (هامسا) هه... صه... أتعرف من برفقتى... إنه أريستوفانيس.

المخرج: (يحاول مصافحة أريستوفانيس فيزوغ منه) أهلا بالأستاذ... أرفانيس (ثم يتوجه إلى المؤلف بالحديث مستفسراً فى دهشة)... والأستاذ أرفانيس... بم يعمل؟ بالصحافة... بالإذاعة... بالتلفزيون... بالنقد... آه... آه... لازم الأستاذ أرفانيس ده خبـ....

الحكيم: (مقاطعا وقد اصفر لونه خجلا): أرفانيس! ياللمصيبة! (بقرف) ألا تعرف أريستوفانيس؟.... أريستوفانيس!!.

المخرج: آه... عرفته... إنه خبير المصنفات الأجنبى.... مدير الرقابة... ورئيس المخابرات المشرف على قطاع الفنون وعضو مجلس الإدارة المنتدب فى مؤسسة الإعداد والتأليف والاقتباس والترجمة والنشر (ثم يتوجه إلى أريستوفانيس بالحديث) تمام يا خواجه... براكسا وإن كانت حقا تتناول مشكلة السياسة والحكم... ولكنها بشكلها الحالى لا تمثل أية خطورة على الإطلاق... فبالتعاون مع سيادة الكاتب العبقرى... (يشير إلى الحكيم) نسفنا نسفا باتا كل الخطط الخبيثة للمؤلف الإغريقى القديم صاحب المسرحية، الأصلية والذى لا أذكر اسمه الآن (لحظة سكون وتفكير) لقد شوهنا مسرحيته تماما، وأفرغناها من كل مضمون سياسى غير مأمون... لقد كان هذا المؤلف القديم كما يقول كاتبنا العظيم متهوراً وطائشاً، لا يعرف

حدود الكياسة ولا يقدر على مغازلة الساسة، ولا يحسن التعامل مع رجال السلطة. لقد كان مؤلفا غبيا متغطرسا، سخر من زغماء الدولة ورجالات الفكر وقدمهم بأسمائهم على المسرح فى صورة مزرية وهم حضور بين المتفرجين! تصور هذا الوقح قد شوه سمعة سقراط ويوريبيديس وكليون وغيرهم... ياالله من كاتب مأفون!... ملعون ابن ملعون!

(أريستوفانيس يلف ويدور حول نفسه بعصبية شديدة ويأكل بعض حبات العنب بنهم... أما الحكيم فقد وقع مغشيا عليه فوق عصاه ويسقط البيريه من فوق رأسه حيث تبدو جبهته العريضة... وتسود لحظات من الصمت. أما المخرج فيحس الآن فقط بأنه ارتكب خطأ فظيعاً دون أن يعرف ما هو... ورويداً رويداً يفيق الحكيم ويزحف على ركبتيه ناحية أريستوفانيس).

الحكيم: (بارتباك) أى رب الكوميديا أريستوفانيس العظيم... ياملهمى وقائدى فى صياغة مسرحيتى «براكسا» !!.

أريستوفانيس: (مشفقا ومقاطعا) انهض يا بنى أنا لست ربا للكوميديا... فلا توقعنى فى مشاكل مع الإله المخمور ملهم المسرح الجليل ديونيسوس رب التراجيديا والكوميديا.

الحكيم: (يواصل حديثه) أتوسل إليك أن تغفر لى... ولهذا المخرج المسكين (ينظران إلى المخرج فيجدانه فى شبه إغماءة)... لقد كان هدفى بتقليد مسرحيتك هو إحياؤها... عفواً مسرحياتك حقا حية لا تموت... ولكن أعنى إعادة صياغتها وتعصيرها، وقل تبسيطها إن شئت، حتى يتمكن جمهور المسرح فى أيامنا هذه من متابعتها واستيعابها.

أريستوفانيس: كان عليك إذن أن تتعاون مع مخرج غير هذا الذى لا يعرف أريستوفانيس.

الحكيم : أما هذه يا سيدى فلا حيلة لى فيها... أما زلت تحادثنى بلغة القرن الخامس الأثينى قبل الميلاد... أو تحسبنى قادرا على اختيار المخرج... أو استبداله؟... بل هو يا سيدى الذى يتعطف على ويختارنى... إنهم أباطرة عصرنا يا سيدى... كم من آلاف النصوص الجيدة التى يتركونها. ويذهبون إلى أضعف النصوص... عندما تكون لهم مصلحة فى إخراجها. ثم يروجون فى الصحف والمجلات والإذاعات أننا نواجه أزمة نصوص... فرية يختلقونها لكى يبرروا إفلاسهم. وفى الإفيشات يضيفون عبارة رؤية درامية.

أريستوفانيس: لا حل إذن إلا أن تمارس التأليف والإخراج والتمثيل وما تسمونه الرؤية الدرامية أو الإخراجية... ونجح فى ذلك الكثيرون من أبناء عصركم... خذ مثلا بريخت.

الحكيم : المقارنة بيننا هنا وبين أهل الشمال ظالمة للطرفين... ما علينا... دعنى أشرح لك حقيقة هذا المخرج قبل أن يفيق...

أريستوفانيس: أنت إذن تخاف منه.

الحكيم : لأنه مدير الفرقة القومية للتمثيل... ولأنه أيضاً وهذا هو الأهم ابن أخت نائب وزير الثقافة... والمسؤول الأول عن الحركة المسرحية فى بلادنا... وهو قبل كل شيء آخر قد نال شرف تلقى العلوم العسكرية فى الكلية الحربية، وتخرج بعد ذلك ضابطاً برتبة كبيرة وتفوق فأرسل إلى بعثة فى أمريكا... وعاد من هناك بدرجة الدكتوراه لا فى الفن العسكرى، ولكن فى التكتيك المسرحى... ورسم حركة الضباط أعنى ضبط حركة

الممثلين على خشبة المسرح وكذلك ضبط الإضاءة. اختصار
في يده كل خيوط الضبط والربط في العملية المسرحية.

أريستوفانيس: وكيف تم هذا التحول الجذري المفاجىء

الحكيم : لا تسألني عن ذلك... فهذا أمر يمكن أن نتناساه إذا تذكرنا مهارة هذا المخرج العبقري في تطوير شؤون المسرح السياسي حسبما تقتضيه المصلحة العليا، أعني وفق رغبات السلطات المسؤولة...

أريستوفانيس: (بغيظ) أمازلت تتحدث عن المسرح السياسي؟ إنكم لا تعرفون ما هو المسرح.. ولا صلة لكم بالسياسة.

الحكيم: كيف ذلك يا سيدي، الإنسان حيوان سياسي بطبعه.

أريستوفانيس: تقول «حيوان سياسي»؟

الحكيم : نعم

أريستو فانيس: ولكن هناك من الناس من يستغنون عن الشطر الثاني من هذه العبارة.. أو تصبح هذه الكلمات بالنسبة لهم محفوظات موروثة يرددونها دون وعي.. وبالفعل لو اطلع أرسطو صاحب هذه المقولة على أحوالكم كما أراها اليوم لرفع عنكم صفة السياسة.

الحكيم: إن أقوالك هذه يا سيدي تنطلق من العصر الذي تنتمي إليه... العصر الذهبي للديمقراطية الأثينية والفنون المسرحية. وكما أتفهم موقفك وأعذرك أرجو أن تتفهم موقفنا. كان مسرحك مسرحاً سياسياً بالدرجة الأولى، فلعب. دور الرقيب والناقد والمعلم للساسة المعاصرين، الذين خروا أمامه صاغرين مكبرين. لأن مسرحك كان قطعة من الحياة الديمقراطية وكانت حياتكم مسرحاً مقدسا يعرف كل فرد فيه كيف يلعب دوره

بإتقان شديد. أما المسرح فى عصرنا فهو مطية، إنه يا سيدى العجينة التى يشكلها المسؤولون كيفما راق لهم... مسرحنا تجد فيه الحقيقية مقلوبة ومخنوقة تحت أقدام الباطل. أما الزيف فنجده فرحا مرحا بثياب الراقصات، متحركا فى مسارحنا وفنادقنا وفى كل مكان حتى بيوتنا. المسرح عندنا يا سيدى بكلمة واحدة... امرأة مغلوبة على أمرها... ونحن جميعا نقف منها - كما نقف من قضايانا القومية - موقف المتفرجين مكتوفى الأيدى.. مكتومى الأنفاس.

أريستوفانيس: وما موقفك أنت؟ (بسخرية) يا عملاق المسرح - كما يسمونك فى بلادكم - لماذا لم تعبر عن أفكارك هذه بصراحة... ولا سيما فى هذه المسرحية «براكسا» ذات الموضوع السياسى؟

الحكيم : (صمت)...

أريستوفانيس: لو أنك لازمت الصمت كما تفعل الآن أمامى... وقاطعت هذا المسرح المزيف... لكان خيراً لك وللمسرح، فالصمت أكثر قدرة على التعبير أحياناً من أبلغ الكلام. والصمت يابنى ملاذ كل حر لا يقبل الضيم، ولا يرضى لنفسه مهانة التزييف أو مذلة النفاق.

الحكيم: (صمت)...

أريستوفانيس: ومع ذلك أرجو ألا يقهرك الخجل... فما جئت إلى هنا لكى أؤنبك فحسب... بل عن تقدير خاص لفنك وأفكارك أيضاً... لقد كنت أتابعك من العالم الآخر... فأنا أقرأ هناك كل كلمة يكتبها مؤلفو الكوميديا... وأذهب لمشاهدة العروض التى تروق لى مهما كانت لغتها وأيا كان مكانها. والعجيب فى أمرك أنك

قد بلغت فى سنك هذا، سن الشباب والكهولة، قمة النضج الذهنى والإبداعى التى لم يبلغها كثير من الشيوخ، ولكن لا أدرى ماذا أصابك هذه الأيام؟... إنك لا تتقدم يا عزيزى... ومن لا يتقدم يتأخر... نحن والناس جميعا ينتظرون منك أكثر وأكثر.

الحكيم: سيدى وسيد كل مؤلفى الكوميديا... لا تنفخ فى الرماد... ولا تنبش فى الماضى، ولا توقظ عواء الجروح الدفينة... ففى أيامنا هذه انعدمت الرؤية من كثرة ما نرى... وانغلقت الأفهام من كثرة ما حشر فيها، وضاعت الحقيقة تمام بسبب التزييف المستمر للحقيقة... لقد كانت الرؤية لدى الأجيال السابقة... وفى مطلع شبابى أكثر وضوحا... لأن الحقائق الصحيحة والمكذوبة كانت أقل عددا وتداخلا.... كانت الحدود فاصلة والبراهين قاطعة... أما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل... وتداخل الشيء مع نقيضه، فصار المرء لا يستطيع التمييز بين عدوه وصديقه. لقد ضعف فؤادى على المقاومة من كثرة ما قاومت وشدة ما عانيت... وأصبحت الآن واحدا من القطيع... أهيم مع كل الناس فى دروب التناقضات والمغالطات... أرجو أن تمد لنا يد العون ولا تسخر منا... ولا تتحدث عن عصرنا بلغة عصركم.

أريستوفانيس: إن إصلاح الأوضاع فى عصركم ومجتمعكم عمل يحتاج إلى معجزة... أو بالأحرى يحتاج إلى الإخلاص عدة أجيال... وكل ما أستطيع أن أفعله أن هو أن أتعاون معك فقط فى مراجعة الصياغة النهائية لمسرحيتك وإنقاذ ما يمكن إنقاذه فيها.

الحكيم: (مرتاحا ومغتبطا بهذه النتيجة) هذا كرم منك وأى كرم! تفضل وخذ هذا النص الإغريقى (يجمع الأوراق المبعثرة أمام الحمار الصغير).

أريستوفانيس: (ساخرا) لا سيادة العملاق المسرحى لست بحاجة إلى النص الإغريقى، فأنا مبدعه وخالقه وهو قطعة منى ويسرى فى دمى. فهو معى فى كل زمان ومكان، إنه روحى ووجدانى. أنا النص الإغريقى أقف أمامك دما ولحما، جئت لأعينك فى عملك الشاق مقتنعا برسالتك السامية ومقدرا موقفك وظروفك... وراجيا لك كل توفيق أيها الحكيم، ولكنه النص العربى الذى وضعته أنت ما نحتاج إلى قراءته معا... (ينظر إلى المخرج الذى لا يزال منكفئاً على الأرض) ولكن أيقظ هذا الغافل... (يهزه الحكيم من كتفه فيتقلب بعض الوقت ثم يفيق ويجلس على الأرض يمسك ثلاثتهم بالنص العربى ويصيحون معا بصوت عالى «اللوحة الثالثة» ويظهر الممثلون فى الركن الأيمن من المسرح ويتأهبون لأداء أدوارهم).

(الممثلون على يمين المسرح يشرعون فى عمل البروفات، ويظل المشهد السابق كما هو فى الجانب الأيسر... حيث يصبح أريستوفانيس والحكيم متفرجين على خشبة المسرح. أما المخرج فينتقل بين الحين والحين من اليسار إلى اليمين ويربط بين الجانبين).

المخرج: يالا... يا ولاد... النهاردة البروفة چنرال ومعانا بالصدفة ضيوف مهمين جداً... حاجة ماتحصلتش قبل كده... وموش هاقول مين همه... أخاف تتلخبطوا...!

الممثلون والممثلات: (فى صوت واحد) جاهزين يا فندم.

المخرج: الإضاءة جاهزة؟... الصوت؟... كله تمام؟ موش عاوز أصوات فى الصالة... ولا فى الكواليس... هاصفر ثلاث صفارات فى الثالثة نبدأ... ماشى.

أريستوفانيس: (يقف متدخلا) هنيهة لى ملاحظة بسيطة جداً... قبل الروفة... وهى ملاحظة للمؤلف (يخاطب الحكيم) من الذى أعطاك أيها المؤلف العظيم والحكيم حق تغير عنوان المسرحية من «برلمان النساء» إلى «براكسا»؟... بل لماذا قلبت اسم براكسا جورا بطلة المسرحية إلى «براكسا»؟.

المخرج: مش وقته الكلام ده.. احنا خلاص... أقعد...

الحكيم: (متدخلا يخاطب أريستوفانيس) معذرة يا سيدى فلقد فضلت استخدام الاسم «براكسا» ليس فقط لتبسيط الأمور على المتفرجين، ولكن من باب مسايرة العصر... ففى ظل القانون

عبر المكتوب للتدليل اللغوى المتبع فى أيامنا هذه... لا يعرف الناس كيف ينطقون اسم شفيقة فيجعلونه شوشو أو شيشة، ونفيسة أصبحت نفوسه أو سوسو أو حتى سوسة. فلو استعملت أنا الأسم الأصلى براكسا جورا كان الناس سينطقونه بركوسة برسيسة أو برسوسة.

أريستوفانيس: ولكنك أحيانا تكتب براكسا... ثم تنسى وتكتب الاسم الأصلى براكسا جورا.

المخرج: (متدخلا) حسنا... رب الكوميديا ياسيدى أرفا... أريستوفانيس... ليكن أمرك نافذا... (يتجه للمثلين)... الولاد دائما سينطقونها براكسا... وسيثبتون على ذلك ، وإن كنت أنا شخصيا أفضل برسيسة أو برسوسة... ياللا ياولاد... هه... استعد.. هاصفر.

احدى الممثلات: لحظة من فضلك يا أستاذ:... أنا شايفة الزعيمة الأولى... داخلة الصالة..

المخرج: نحييها كلنا.. ونبدأ بعد كده على طول (ينزل المخرج وجميع الممثين والممثلات ويستقبلون الزعيمة الأولى عند باب الصالة ويحيطون بها حتى تجلس بالصف الأمامى. إضاءة على الجانب الأيسر من المسرح).

أريستوفانيس: (متململا وهو يضع بعض حبات العنب فى فمه وبعصبية شديدة) ما هذا الذى يحدث فى مسرحكم يا حكيم... ومن تكون هذه؟

الحكيم: الزعيمة الأولى.. ياسيدى (يضغط على الكلمة الأخيرة).

أريستوفانيس: لا أفهم؟ الأولى فى ماذا؟

الحكيم: اكتسبت هذا اللقب بفضل مكانتها العليا.. وبصراحة أخذنا هذا اللقب

من وارثى حضارتكم... من الغرب... وبالذات من أمريكا... وبعدين معاكو إنتو حيرتونا لما ندعو للإستقلال عنكو تقولوا متخلفين ولما نقلدكو ما يعجبش. إيه الحكاية. ثم إننا هنا فى بلد ديمقراطى ليس عندنا ملوك... ولا ملكات... لا أباطرة ولا إمبراطورات أبداً... وهذه السيدة تحمل لقب الأولى فقط.

أريستوفانيس: آه... فهمت... لأنها دائما تجلس فى الصفوف الأولى... وتتصدر الصفحات الأولى فى الجرائد... وساعات الإرسال الإذاعى والتليفزيونى... الأولى حتى فى حصص الإنشاء والمطالعة... بالصفوف الأولى..و

الحكيم : (مقاطعا)... هو ده اللى فهمته وليكن... عليك نور...(الممثلون يصعدون منصة التمثيل ثانية).

المخرج : (بصوت جهورى فجائى) السلام الجمهورى (يقف الجميع بالصالة وعلى خشبة المسرح أثناء عزف السلام الجمهورى.... ويضطر الحكيم إلى الأخذ بيد أريستوفانيس ليقف هو أيضاً... ولكنه يتأفف ولا يتوقف عن أكل العنب... تصفيق حاد... ثلاث دقات على المسرح وتبدأ البروفة.. بترو بملابس النساء الإغريقيات، ويجلس أمام منزله ويقدم عليه جاره كوستا وهو أيضاً يرتدى ملابس نسائية).

كوستا : صباح الخير يا بترو.

بترو : صباح الخير يا جارى العزيز... أين كنت؟

كوستا: بل قل لى أنت...لماذا تجلس هكذا فى الصباح الباكر أمام منزلك... وما هذه الملابس؟

بترو : (ضاحكا) إنها مثل ملابسك تماما... ولا تهرب من سؤالى... أين كنت؟

كوستا : كنت فى مجلس الشعب؟

بترو : مجلس الشعب وبهذه الملابس ؟

كوستا : أنت إذن لم تعرف شيئاً عن الثورة المباركة؟.

بتـرو : ثورة! مباركة! ... لا أعرف سوى أننى صحوت من نومى.... لم أجد ملابسى ولم أجد زوجتى براكسا... فارتديت ملابسها.... لأقضى حاجتى... هناك فى الأرض الفضاء خلف المنزل... نعم كانت حاجتى ماسة جدا للخروج من المنزل... وبعد أن شعرت بالراحة جلست أتأمل طلوع النهار.

كوستا : أنا مثلك بالضبط... لم أجد زوجتى فارتديت ملابسها، لم تك بى حاجة ماسة... ولكن ذهبت متخفيا إلى مجلس الشعب لأشهد طلوع عهد جديد... تسوده نظم وشرائع جديدة وتتزعمه زوجتك براكسا...

بترو : زوجتى براكسا... زعيمة الثورة!؟...

كوستا : نعم هى الزعيمة الأولى فى المدينة الآن... تآمرت مع كل نساء البلد... فاستولين وهن بملابس الرجال على مجلس الشعب.... وأصدرن قوانين جديدة... قلبت كل الأمور رأسا على عقب...

بتـرو : لماذا... ألم تعجبهن الأوضاع القديمة؟

كوستا : بتاتا... وقررن أن يتبادل الرجل والمرأة الوضع.

بترو : تعنى أن الرجل هو الذى يقوم بالوضع والمرأة هى...

كوستا : لا يا جارى العزيز... هذه أمور بسيطة يمكن بالتفاهم أن يصل فيها الرجل إلى حل مع امرأته... المسألة أعقد من ذلك بكثير.

بترو : بالعكس أنا لم أجد أعقد من هذه الأمور البسيطة فهى مفتاح السعادة بالنسبة للمرأة ... وهى الضمان الأكيد لاستمرار العلاقة السليمة بين الرجل والمرأة.

كوستا: على أية حال فلقد ذهبن إلى أبعد من ذلك... قالوا إن الرجل هو

الذى سن التشريعات القديمة فتسبب فى تخلف البشرية، لأنه عطل نصف المجتمع أى المرأة.

بترو: الرجل سبب التخلف!؟ ... ولكن المرأة هى ناقصة العقل والدين بطبعها.

كوستا: أنت متخلف... تتحدث بلغة النظم القديمة والتقاليد البالية (يقترب منه) اسمع يا جارى العزيز... ينبغى أن تساير العصر... ولا سيما أن زوجتك... هى سيدة هذا العصر... عليك من الآن فصاعدا أن تلعب الدور بإتقان...

بترو: لا يا جارى العزيز أنا لا أقبل هذه القوانين الجديدة...

كوستا: ولكنها صارت واقعا... وينبغى الاعتراف بها، ولا سيما بعد أن باركها رجال الدين... ووضع لها الفلاسفة نظريات وتفسيرات حكيمة... وأوضحوا لها.. بل أقنعونا بما لا يدع مجالا للشك بأن الأوضاع عندنا كانت مقلوبة.

بترو: مرة أخرى تتحدث عن الأوضاع المقلوبة ! ؟

كوستا: سأضرب لك مثلا... قانون تنظيم الأسرة الجديد.

بترو: والأسرة عندنا تحتاج إلى تنظيم؟

كوستا: نعم... بل اتضح أن هذه النقطة هى المنطلق الرئيسى للنهضة الحضارية المنشودة ولدخول القرن الجديد.

بترو: كيف؟

كوستا: من مظاهر التخلف فى مجتمعنا أن الرجل هو صاحب العصمة... وهو الذى يخرج كل يوم ليعمل فى الحقل أو المصنع، ويعود إلى المنزل كل مساء منهكا.... فينام... ويضيع الليل فيما لا يفيد ولا ينفع أحداً... تصور ينام طول الليل ويعمل طول النهار... هذا تخلف.

بترو: إنك تردد ما تقوله زوجتى براكسا بالضبط، فهى كل صباح تقول لى ما

فاتها أن تقوله بالليل الفائت: أنت مافيكش فايدة بتنام من المغرب.

كوستا: وزوجتك بالذات هى التى صاغت هذا القانون بوصفها رئيسة مجلس الشعب الجديد... وقالت إن هدفها الرئيسى هو إعادة ترتيب الأوضاع داخل البيت.

بترو: وماذا يقول قانون تنظيم الأسرة الجديد؟

كوستا: على الرجل ألا ينام من المغرب... ولا يقبل أى عذر فى هذا الصدد مهما كان... وعليه أن يظل يعمل ويعمل... يكد ويكدح... ويواصل الليل بالنهار.

بترو: ياللهول! هكذا تستقر الأوضاع؟

كوستا: العصمة أصبحت بيد الزوجة... وبيت الزوجية لها فى حالة الانفصال... والرجل الذى لا يعمل بالليل قبل النهار... يقع تحت طائلة القانون ويحق للزوجة أن تطلقه وتطرده من البيت.

بترو: وماذا عن الأولاد ؟

كوستا: الأم كما هو معروف مدرسة... إذا أعددتها أعددت..

بترو: شعبا طيب الأعراق... (صمت) إذن فهى المسئولة عن تربيتهم وتنشئتهم بالمنزل.

كوستا: أبداً... القانون الجديد جعل الرجل مسئولا عن كل ما هو بالمنزل... لأن المرأة ستتولى زمام الحكم.

بترو: والرضاعة.... من مسئولية الرجل أيضاً ؟.

كوستا: لا أكذب عليك لم يرد فى القانون نص صريح بشأنها... ولكنها بالقطع سترد فى المذكرة التفسيرية، وأظن أنه يمكن الاحتفاظ بلبن الأم فى زجاجات ليقوم الرجل بإطعام الأولاد... المهم أن تتفرغ المرأة لإدارة شئون الدولة.

بترو: الدولة إذن.. دولة نسوان ... !

كوستا: صه... براكسا... وحاشيتها... الحكومة كلها قادمة.

(تدخل براكسا وحولها بعض النساء... وكلهن يرتدين ملابس نسائية فاخرة... تزينها شارات الحكم والسلطة... ويبدو عليهن سمت السلطان ويتحدثن بأسلوب الحكام والساسة... وعند دخولهن تصدح الموسيقى العسكرية... مارش كلاسيكى).

براكسا: (تخاطب زوجها) بترو... بترو ! حبيبى... ماذا دهاك ؟ ترتدى زى النساء ؟ هذه فوضى تستولى على ملابسى ؟.

بترو : (بنعومة) طاعة لقانونك الجديد... ومسايرة لروح الثورة المباركة... أساير العصر... أنا رجل عصرى خالص... (يتهكم) أنا زوج الحكومة ووراء كل امرأة عظيمة وحديدية مثلك ينبغى أن يوجد رجل ناعم... ورقيق... أنا رقيق.

براكسا : ولكن تغيير الملابس... لا يغير الأدوار... أنت الرجل مهما كان.

بترو : ده كان زمان (مستدركا) وإذا كان كلامك صحيحا... لماذا سرقت ملابسى ليلاً لتذهبى إلى مجلس الشعب ؟

براكسا : كان هذا تدبيراً مؤقتا... والأعمال بالنيات وهدفى نبيل يا زوجى العزيز... أنا أسعى للصالح العام... علينا أن نلحق بركب التطور، بيننا وبين الدول المتقدمة عدة قرون... وعلينا أن نقفز... ونعبر الزمن؟... أن نحدث طفرات لكى نعوض مافات من القرون.

بترو: أنا لا تهمنى القرون... ما يشغلنى الآن كزوج... أنك خرجت من بيت الزوجية بليل... وترتدين ملابس الرجال... ثم تعودين الآن بملابس نسائية فاخرة... مستوردة فهذا الحرير الطبيعى... على جسدك... لا يمكن إلا أن يكون من أقصى الشرق... أما صبغته الأرجوانية فهى من صور الفينيقية بالقطع، وعطورك النافذة لابد وأنها أتت من بلاد العرب الغنية.

براكسا: (باسمة) كم أنا سعيدة... أنك لأول مرة... تدقق وتمعن النظر فى ملابسى... هذا شىء رائع... وإهتمام كبير أتمتع به لأول مرة منك (حالمة) آه لو يدرك الرجال كم يسعد النساء أن يراقبوا عن كثب كل صغيرة وكبيرة فى ملابسهن! .

بترو: ما إلى هذا قصدت.

براكسا: حسنا من ناحيتى يا حبيبى أحيطك علما... بما كنت أجهله أنا نفسى... فمجلس الشعب يا حبيبى به غرف ملحقة يمكنك هناك أن تستبدل بملابسك الحقيقية أية ملابس أخرى بل وهناك أقنعــة من كل صنف... وهناك يمكن أن تلعب الدور الذى يروق لك... فكل الظروف مهيأة لذلك... والحكومة لا تبخل بشىء من أجل توفير كل احتياجات أعضاء مجلس الشعب... المهم أن يلعب كل عضــو الدور الذى رسم له... ويتــفق مع ميوله.

بترو: وإذا كانت حكومتكم الجديدة حريصة على ترتيب الأوضاع... فلماذا وضعتم العصمة فى يد الزوجة، وبيت الزوجية للزوجة... وكل شىء للزوجة... هل هذا حلال؟

براكسا: (تقترب منه وتهمس فى أذنه) : حبيبى بترو سمح لى أن أقول لك... كلمة فى إذنك (يقترب منها) أنت غبى.

بترو: .... !

براكسا: هل نسيت أنه فى الأسبوع الماضى فقط زوج بنتك الغنى... صاحب المزارع الشاسعة والمشروعات الاستثمارية الضخمة... طلق بنتك طلاقا بائنا...؟ وقانون تنظيم الأسرة الجديد سيتيح لنا الانتقام منه... فسنحصل على تعويض مالى هائل.. والفيلا التى تقع على النهر... وشاليهات الساحل الشمالى والشرقى

ستكون من نصيب بنتنا.

بترو : يا لئيمة ...!!

براكسا : هل كان من العدل.... أن نترك هذا النذل هكذا ؟ يأخذها لحم ويرميها عظم؟

بترو : وهل كل تشريعاتك الجديدة عادلة بنفس هذه الدرجة ياشيطانة !؟

براكسا : (تتصنع الحزم والجدية) هه... لا تنس نفسك... أنت تتحدث الآن مع الزعيمة الأولى... رئيسة الدولة... الحكومة.

الزعيمة الأولى: (من الصف الأمامى... تنهض وتتحدث بحدة وعنف) إيه التهريج ده... !؟ فين المخرج ؟ فين المؤلف!؟.

(ينهق الحمار... وينهض كل الموجودين فى صالة المتفرجين - ويحدث ضجيج... يتوقف الممثلون على التمثيل... ويظهر المخرج على حافة الخشبة).

المخرج : يافندم... والله ما قصدنا حاجة؟ هو إيه اللى موش عاجب سيادتك...؟ نحذفه... إحنا لسه فى البروفات.

الزعيمة الأولى: ده تهريج... ده مسرح بذىء، البلد أيوه... فيها حرية رأى... وديمقراطية وعملنا لكم كمان أحزاب... ومعارضة... وصحف للمعارضة... كل واحد يقول اللى هو عاوزه لكن موش بالشكل ده... قصدكوا إيه...؟ قال إيه الست بقت راجل... والراجل بقى ست ! ومن هى براكسا دى ! دى حاجة تفلق! .

المخرج : يافندم بس لو أعرف إيه اللى مضايق حضرتك ...؟

الزعيمة الأولى: المسرحية كلها يا أستاذ... حتى من الناحية الفنية البحتة... محتاجة لصقل ومراجعة وتنقيح... أنتو ناسيين أن أنا حصلت على الدكتوراه فى الأدب الإغريقى العربى المقارن... ودرست أصول المسرح - أمال أنا جاية أحضر

البروفات ليه... أنا موش بلعب.

المخرج : خلاص يافندم احنا نأجل الافتتاح وسيادتك تساعدينى فى إعادة صياغة المسرحية... وفى إخراجها كمان... احنا فعلا محتاجين لعلم سيادتك الغزير.

الزعيمة الأولى: خلاص... وعلشان أنا بقدرك وباحترم فنك وثقافتك العالية... سأضع هذه المسرحية تحت رعايتى الخاصة... الميزانية مفتوحة.. كل طلباتكم أى ما إنتو عاوزين... يا أستاذ... المسرح - وأنت سيد العارفين - زى السياسة بالضبط... لعبة والشاطر هو اللى يلعبها كويس (تهم بالإنصراف).

المخرج : طب ياريت سيادتك تلعبيها معانا (مستدركاً) قصدى أمرك يا فندم...

(تنصرف) مع السلامة شرفتينا... هذا يوم تاريخى بالنسبة للمسرح العربى (تختفى والمخرج يضرب مكفاً بكف... ويلطم خده) يا خراب بيتى ... هنروح أونطة... المؤلف المغفل ده هيودينا فى داهية... وراء الشمس... (الإضاءة على الجانب الأيسر من الخشبة... أريستوفانيس فى حالة من الذهول والتوتر... يأكل حبات العنب بنهم وعصبية... أما الحكيم فيجلس فى هدوء... يسند خده على يده التى تتحلى بالمسبحة... وفى اليد الأخرى عصاه... يبتسم... فى حين ينهق الحمار... بصوت خفيض وعلى فترات متقطعة).

أريستوفانيس: (يكاد لا يبين صوته من التوتر) ما هذه الذى يحدث فى بلادكم؟ المسرح هو مرآة المجتمع والتقدم الحضارى... وما أراه عندكم ليس مسرحاً.

الحكيم : ياخواجة... قلت لك مائة مرة... لا وجه للمقارنة بيننا وبينكم...

ولكل أوان آذان.

أريستوفانيس: آذان... ماذا تعنى هذه الكلمة ؟

الحكيم: ها أنت لا تفهم شيئا عن عصرنا.. ما علينا.

أريستوفانيس : أنت تعرف... يا حكيم... أنه فى مسرحنا كان الحكام يجلسون فى صفوف المتفرجين... ليشاهدوا أنفسهم... كشخصيات كوميدية على المسرح تحمل أسماءهم وأقنعة تشبه ملامحهم ويتعرضون للهجوم السافر والتهكم الساخر... ولا يستطيع الواحد منهم أن ينطق بكلمة واحد... ولو كان هو الحاكم نفسه.

الحكيم : أعرف ... هذا صحيح ! فأنت نفسك كنت قاسيا فى هجومك على كليون حاكم أثينا، وسخرت أيضاً من غيره.... يوريبيديس وسقراط مثلا... وأعرف أن الناس كانوا يحظون بمتعة مزدوجة... متعة ممارسة نقد الحكام ومتعة مقارنة الملامح الحقيقية للشخصية... بملامحها فى القناع الذى يضعه الممثل على وجهه. لكن هل تظن أن هذا يصلح لعصرنا.. سواء هنا فى بلادنا أو حتى فى أرقى المجتمعات؟

أريستوفانيس : ولم لا؟

الحكيم: أنت واهم... لأنك لم تفهم... ولا يمكن أن تفهم عصرنا...

المخرج : (فجأة وبعصبية) إنتو... قاعدين ترغوا! وما هذا الهراء؟... قم أنت وهو... كل واحد يروح بيته... خربتوا بيتى... (يبكى).

الحكيم: (يضرب الأرض بعصاه... ويقترب من المخرج... ثم يربت على كتفه) يا بنى ... ما تخافش هم هيشنقوك... وإذا شنقوك موش أحسن من الحياة اللى إحنا عايشينها دى. هو الواحد لما يفقد حرية التعبير عن نفسه... يبقى يعيش ليه ؟

أريستوفانيس: (بتهكم) رائع! رائع !...يا حكيم...

المخرج : (بتهكم) رائع! رائع!... هو ده اللى أنت شاطر فيه...!؟. يا أخى قول حاجة ترضى ربنا.

الحكيم : (مبتسما) يابنى.. اسمع كلامى... استمر فى عملك...

المخرج : أستمر... يعنى عاوز تودينى فى داهية؟

الحكيم: لا داهية ولا حاجة... أنا كمؤلف أطلق يدك فى حذف ما تشاء... أعنى ما يشاؤون.

أريستوفانيس: ما هذا التراجع... أنت توافق على الحذف ؟

الحكيم: أرى أن أجهزة الرقابة.. والحكومة لا تخشى سوى الكلام المباشر، وهذا أضعف جوانب الفن المسرحى... دعهم يحذفونه... فهذا لن يؤثر على الجوهر... الفن عندى غير مباشر فأنا أبنى بناءً كاملاً، وأشكل كياناً عضوياً... وأقول ما أريد قوله دون أن أصرح به. ولكنى أضمنه و أداريه بعض الشيء.. وأحيانا أغلفه بغلاف رقيق... وأزوده بحواشى وزوائد... تبدو للرقابة على أنها نقد مباشر للأوضاع فيحذفونها ويتركون البناء الرئيسى والجوهر دون أن يمسوه بأذى لأنهم فى الغالب لا يفهمونه (يخاطب المخرج) يابنى دعهم يحذفون ما يشاءون... أنا موافق... وبعد استراحة بسيطة نرى المشهد الختامى... فهو الأهم... موافق يا أريستوفانيس.

أريستوفانيس : بالطبع ... (يهمس وكأنه يخاطب نفسه) فأنا الذى سيختتم هذا المشهد الكوميدى، فلهذا أتيت...

الحكيم : ماذا تقول! ؟

أريستوفانيس : لا شىء هيا بنا.

(يظل المشهد كما هو مع إضافة منصة صغيرة يوضع عليها كرسى الحكم وذلك فى الجانب الأيمن من المسرح، حيث يصور الآن قاعة الحكم التى تجلس فيها براكسا. تسلط الإضاءة على هذا الجانب الآن).

براكسا : هذا كلام غير معقول ياهيرونيموس... جعلتك وزيرى الأول سنة كاملة ولم تفعل شيئاً... والمشاكل ظلت كما هى أو زادت... والفوضى حلت بالبلد... والإرهاب يتهددنا فى كل خطوة... والآن تطلب منى أن أقيل أبقراط... لتتسلم مقاليد الوزارة مرة أخرى...؟ هل جننت؟... أترك له الفرصة... فهو لم يكمل شهرين فى الوزارة.

هيرونيموس: يا سيدتى ! أبقراط هذا رجل علم وثقافة وفلسفة... وكلام فارغ... لا دخل له بالسياسة، السياسة كما تعرفين هى فن الاحتفاظ بالسلطة وتقويتها بكل الوسائل... القوة هى أساس الحكم، وأبقراط ضعيف لا يصلح للحكم.

براكسا : ولكنه الآن أجاد إدارة البلاد... ووطد علاقاتنا الثقافية مع بلاد الشرق.

هيرونيموس: بصراحة... لأنه عميل للدول الشرقية.

براكسا : كما أنك عميل لدول الغرب؟ على الأقل هكذا يقولون.

هيرونيموس: شائعات يا سيدتى،، شائعات لا أساس لها من الصحة. أنا أصولى أحب بلدى ولا يهمنى سوى مصلحتها... أدعو لإحياء الأصالة... تراث بلدنا العريق... هذا كل ما أنادى به... وأدافع عنه.

براكسا : والمذابح الدموية... وآلاف القتلى حتى فى الأماكن المقدسة هذه أصول تراثية أيضاً؟ أهكذا تحيون سنة السلف الصالح؟

هيرونيمو: هذا أمر شرحناه كثيراً.. ولكن الناس لا يريدون أن يتهمونا.. اسمعى يا براكسا.. ألا تعرفين أنه لا يفل الحديد إلا الحديد.. وأعداؤنا.. أعداء حضارتنا كثر.. ولهم أنياب شرسه وعلينا أن نتعدى لهم بكل طريقة.

براكسا: وأنا ضد الإرهاب فى أية صورة.. تراثنا الحضارى برئ من الإرهاب ، وحرام أن نلصق به هذه الوصمة.

هيرونيموس: رجالنا يؤمنون بمبادئنا إيماناً أعمى.. (يضع أصابعه فى ذقنه) والمؤمن القوى خير ألف مرة من المؤمن الضعيف، ثم إن المواجهة القوية هى الوسيلة الوحيدة لعلاج الفساد المتفشى فى البلاد.. أم تريدون أن نضع رؤوسنا فى الرمال كالنعام؟

براكسا : والحسنى.. أين ذهبت؟ لا نستطيع أن نفعل شيئا.. بالحسنى؟

هيرونيموس: الحسنى... إن لم يسندها السلاح طمع فينا الطامعون... حسبوا أن فينا ضعفا.

براكسا: لا تنس ما يحيط بنا من ظروف داخلية وخارجية.

هيرونيموس: تعنين الشياطين الكافرين... أتركيهم لنا... وعلينا إبادتهم.

براكسا: عيبك دائما أنك تنسى الموازنات المطلوبة، لعبة التعادلية... تعايش الأضداد.

هيرونيموس: أنا لا أحب الحلول الوسط... ولا أمسك بالعصا من نصفها... إلحق بين ياسيدتى... فلم نلف وندور من حوله؟

براكسا : من ناحيتى... لا تظن أننى أفضل أبقراط عليك، أو أننى أؤيده فى كل شيء... ولكننى لا أملك أن أقيله الآن.

هيرونيموس: إذن فهو مفروض عليك؟

براكسا: ليس بالضبط... ولكن لم نضع المسئولية كاملة على أبقراط فى كل ما نعانى من فساد؟... إنها تراكمات من سنين طويلة.

هيرونيموس: أفهم من كلامك أنك تحملينى جزءاً من المسئولية؟

براكسا : ليس هذا وقت الحساب... ولكن أبقراط تولى الوزراء وبلدنا مثقل بالديوان... الاقتصاد فى حالة يرثى لها... والمرافق العامة خراب... والناس جياع.

هيرونيموس: وهل تحسنت الأحوال؟ (لحضة صمت) بل زادت الطين بلة...

براكسا: وما الحل فى رأيك؟

هيرونيموس: سنة السلف الصالح... العودة للأصول... أجدادنا لم يشتكوا الضيف المالى أو المجاعة، بلادنا كانت تغذى الأمبراطوريات... الآن نمد يدنا للجميع... ونستورد غذاءنا يوم بيوم. لقد أصبح الحصول على رغيف الخبز أو قطعة اللحم هو اهداف الأسمى لجهود البشر فى بلادنا!... أما قضايا الوطن القومية فقد داستها الأقدام من بعد أن لاكتها الألسن دون جدوى فلفظتها وألقت بها فى التراب.

براكسا: أقولها لك صريحة... أنا لا أبقى على أبقراط حبا فى أبقراط... لكنه الاحتياط... فأنا أرى جماهير الشعب تحبه وتلتف حوله... ولا سيما الدهماء من الناس حيث يوزع الهبات على الفقراء.... والأدهى من ذلك أنه يتظاهر بحبه للعمل اليدوى... فيرتدى زى الفلاحين وعمال المصانع... يشاركهم العمل بيديه... وكأنه فقير مثلهم يأكل من عرق جبينه... والواقع أن لديه ثروات طائلة...

هيـرونيمـوس: وأنا بدورى أصـارحك القـول... إذا أردت التـخلص من أبقـراط وأكـاذيبـه المضللة... فـهـذا شـغلنا نحن... وتلك رسـالتنا... أرجـو منك فـقط السكوت عـمـا نفـعل... لا نريد توريطك حتى فى مجرد الموافقة على تصرفاتنا... الصمت... الصمت فقط هو ما نطلبه من الحكومة.

براكسا: هذا أمر بسيط... على أية حال دعنا نتربث... ولتنصرف الآن لأن أبقراط على موعد معنا لتصريف شئون الحكم... ولنا لقاء آخر.

هيـرونيمـوس: وداعا يا سيدتى... وإلى الملتقى غدا... إن شاء الله... لنكمل الحديث... (يخرج هيرونيمـوس من القـاعة... ولكنه يختفى وراء أحد الأبواب ليتنصت على ما يدور بين براكسا وأبقراط. أما براكسا فهى تجلس الآن على كرسى الحكم).

أبقراط: يؤسفنى يا سيدتى أن أخبرك بأن أعداءنا الغربيين قد زادوا من استعدادهم فى الآونة الأخيرة... إنهم يتربصون بنا، وأقطع بأنهم على وشك الإغارة على بلادنا.

براكسا: وماذا عن أعدائنا الشرقيين؟ فلقد قدر لنا أن نواجه الأعداء من الجانبين... من على يميننا ويسارنا، والمشاكل الداخلية تحيط بنا من خلفنا وأمامنا.

أبقراط: لا يا سيدتى... فأهل الشرق على يسارنا هم أصدقاؤنا... وعليهم نعتمد فى أشياء كثيرة أهمها أنهم يطلعوننا على دسائس الغرب ومؤامراتهم الدنيئة ضدنا... فأصدقاؤنا الشرقيون... يمتلكون وسائل متطورة لجمع المعلومات السرية.... ويحصلون على أسرار الدنيا وهم فى مكانهم... ولولا تعاونهم معنا لسقطت بلادنا فى يد الغرب... وهم لا يريدون منا شيئا سوى

الصداقة.

براكسا : بالنسبة لى يا أبقراط... لا فرق بين شرقى وغربى إلا بالصدق فى القول... والمساهمة الجادة فى تطوير اقتصاد بلادنا... ولا معنى لأن نكون مطية لهذا الجانب أو ذاك... (بحزم) دع عنك أوهام المخاطر الغريبة وحدثنى عن الناس فى بلادنا... وكيف سنحل مشاكلهم.

أبقراط : حسنا... اطمئنى يا سيدتى... فنحن نعمل ليل نهار... ولقد استصدرنا تشريعات هامة جدا كلها تهدف إلى أن نأخذ من الغنى للفقير... فمن كان عنه فضل ظهر أعطينا لمن لا ظهر له...

براكسا : لا أفهم ما تقول!

أبقراط : نحن نأخذ ما يزيد على حاجة الغنى ونعطيه للمحتاجين...

براكسا : هذا مبدأ طيب... ولكن أرجو ألا يأتى ذلك على حساب سياسة تشجيع الاستثمارات، ثم ماذا عن مشاريعك أنت وثرواتك؟

أبقراط : ليست لى مشاريع باسمى، ولكنها زوجتى التى تساهم فى بناء الدولة... وتستثمر أموالها فى مشروعات مفيدة للبلد... وأعتقد أن زوجك.... قد أصبح أيضاً من كبار رجال الأعمال فهو يتاجر فى العملة. ولك أقارب يعملون أيضاً فى هذا المجال... ويؤسفنى أن أبلغ سيادتك بأن الناس بدأوا يتململون... يتهامسون فيما بينهم.

براكسا : ولذلك قلت لك... علينا أن نفتح الأبواب ونشجع الناس جميعا على الاستثمار... التجارة مشروعة... والكسب الحلال مباح... على أن يؤدى كل فرد حقوق الدولة.

أبقراط : سنحاول... ولكن الناس لا يحبون ذلك ويخشى الفقراء ظلم

الأغنياء وجشعهم.

براكسا: أنتم الذين زرعتم الحقد بين طبقات المجتمع... لم أكن أتصور أن نصل إلى هذا الحد... لا الفقير يحب الغني... ولا أحد يعطف على المساكين... الناس يسرقون بعضهم بعضا... كل يضع يده في جيب الآخر وينفق بسخاء... كل فرد يسرق وقت الآخر وجهده.

أبقراط : لابد من الصبر... والصمود... فنحن نضع في خطتنا المستقبلية ألا نترك محروما يحلم بشيء ما ولا يطوله... سنوفر الاحتياجات للكبير والصغير للأمير والعبد الأجير... وستكون بلادنا جنة. تمدين يدك لتقطفي الثمار الدانية والأزهار اليانعة فوق الأشجار... وتمدين يدك الأخرى تداعبين بها حبيبا يغازلك..

براكسا : تعني زوجي! ؟

أبقراط : ليس بالضرورة... فنظامنا الذي بنيناه من وحي توجيهاتك يتميز بنظرة ليبرالية.

براكسا : ولكن ماذا سنفعل مع المعارضين... هناك جماعات سلفية قوية... ستعلن العصيان وتخرج على هذه القوانين؟

أبقراط : (مبتسما) لا عليك من هذا... إنهم بضعة آلاف، والعسس بلا يلاحقونهم في كل جحر يختبئون فيه... نحن نمهلهم ولا نهملهم... وفي الوقت المناسب سنصفي حسابنا معهم... بل سنصفيهم تصفية جسدية ونتخلص منهم للأبد... هذه خطتنا المستقبلية.

(يظهر هيرونيموس فجأة من مخبئه مدججا بالسلاح وشاهرا سيفه).

هيرونيموس: بل أنت الذى سنتخلص منه الآن يا كافر... وللأبد.

(يهم بطعن أبقراط فتقف بينهما براكسا).

براكسا: هيرونيموس !... كيف جئت إلى هنا ؟

أبقراط: إنه إرهابى متآمر... لم يبرح المكان... واختبأ ليتجسس علينا.. وربما قتل حاجبك بالباب... ألا تأمرين بالقبض عليه.

هيرونيموس: بل أنت الآن فى قبضتنا (يشهر سيفه) ولن تستطيع الفكاك... رجالنا يملأون الدنيا.

براكسا: (متداخلة فى حزم) وهل أنا أيضاً سجينة فى قبضتك ياهيرونموس؟

هيرونيموس: (متراجعاً بعض الشيء) لا ياسيدتى فأنت لا تؤثرين علينا فى شيء، المهم أن تظلى كما أنت وسطية المزاج... مسالمة لا تميلين كل الميل، ولا تداومين على شىء... بل تأخذين من هذا وذاك.

أبقراط: عندى اقتراح.

هيرونيموس: (مشهرا سيفه) هذا إذا سمحت لك أنا بالكلام...؟

أبقراط: لن تخسر شيئاً أن تسمعنى.

براكسا: حسنا... فلنسمعه.

أبقراط: نحكم سويا... براكسا على رأس الدولة... لا تفعل شيئا سوى أن تحافظ على كفتى الميزان وتوازنهما.

هيرونيموس: وأنا ؟

أبقراط: أنت سيف الدولة البتار... تحرس الحدود فتحصد المعتدين وتحفظ الأمن داخل البلاد... فتقضى على مثيرى الشغب والاضطراب.

هيرونيموس: وأنت؟

أبقراط : (فى اعتزاز) أنا دورى معروف... أنا عقل الدولة.

هيرونيموس: (ساخراً) عيبك أنك مغرور... نصبت نفسك هذه المكانة المرموقة لتكون حكيم الدولة وطبيبها المعالج لكل مشاكلها وأمراضها، أنت إذن الحل فى كل ما استعصى من الأمر على الناس. وكأنه لا يوجد من يفكر فى مصلحة الدولة ومستقبلها سواك... اسمع يا أبقراط !

أبقراط : نعم... تفضل.

هيرونيموس: مشكلة هذه الدولة أنها تؤوى شخصا مثلك.. أنت مريض... أنت كافر... ملحد.

براكسا : أنت هكذا تعود بنا إلى الوراء يا هيرونيموس إلى حيث بدأنا... دع عنك هذا الغضب... وكن على استعداد للتفاهم... بل وللتنازل من أجل الصالح العام.

أبقراط : آه لو يسمعنى ! دعنى أكمل حديثى... فمشروعى ببساطة يهدف إلى توظيف السيف لخدمة العقل، وعندئذ ستكون خطانا سليمة... وحتى ضرباتنا للأعداء ستكون سديدة مصيبة... وقوتنا تصبح رهيبة..

هيرونيموس: هذه مؤامرة... ودسيسة لأن الأسلم فى شريعتنا هو أن يخضع كل الأحياء والأشياء فى بلدنا لسلطة هذه القوة (مشيراً إلى السيف) لا صوت يعلو فوق صوته... فمن لا قوة له لا وجود له... مثل حالك الآن أمامى يا أبقراط، فأنت فى هذه اللحظة لا تساوى شيئاً.

براكسا : (تصعد المنصة لتجلس على كرسى الحكم) هيرونيموس! لا تنس أننى الحاكمة هنا... وعليك بالتخلى عن التهديد والوعيد.

هيرونيموس: أنا لا أهددك أنت... بل أسعى لحمايتك.

براكسا: ولكن ما زال كلامكما... على طرفى نقيض... ولابد من أن يخطو كل منكما خطوة أو خطوات نحو غريمه... حتى تضيق الهوة بينكما... وعندئذ يمكن أن نصنع شيئاً.

هيرونيموس: أنا أرفض الحلول الوسط ؟

براكسا : وهل نسيت أن خير الأمور الوسط؟

أبقراط: وأنا فى هذه الحالة مضطر للإصرار على موقفى.

هيرونيموس: (يهجم على أبقراط ويهم بطعنه) هذا الكافر سأخلص البلاد منه للأبد.

أبقراط: (بحزم) قف عندك أيها الإرهابى يا من لا تعيش إلا كالخفافيش فى الظلام... وتخشى على نفسك من نور الفكر.

هيرونيموس: أتسمعين كيف يهيننى وأنا فى حضرتك... يا براكسا؟ تدخلى وإلا أنهيت هذه اللقاء بسيفى

براكسا : سأعزلكما معا عن الحكم والسياسة هذا قرار رئاسى.. ولا عدول عنه (فجأة يخرج أبقراط خنجراً من تحت ملابسه، وبغتة يهجم الرجلان على براكسا بهدف طعنها ولكن المخرج يتدخل)

المخرج : ستوب... ستوب... (يتوجه بالحديث إلى الحكيم على الجانب الأيسر من المسرح). هذه النهاية غير معقولة... رجلان يجتمعان على امرأة... ويقتلانها على منصة الحكم... قلت لك أيها الحكيم مائة مرة... أنا لا أستسيغ الاغتيالات على منصة التمثيل...

الحكيم: وأنا مثلك تماماً... لا أحب العنف.. وفى المسرح الإغريقى كان لا يسمح بقتل أحد على منصة التمثيل.

المخرج : ولكنك المؤلف؟

الحكيم: أنا كتبت هذا الكلام... ووضعته فى كتاب... ومضى على ذلك بضع سنوات... والذى يعرض هذا على المسرح... هو المؤلف

الثاني... مؤلف العرض المسرحي يا ابني أنا لا ناقة لي ولا جمل في المسرح والسياسة.

المخرج : ولكنك هكذا تتخلى عني أنت وأرفانيس بتاعك ده.

أريستوفانيس: أريستوفانيس يا مغفل! (يزداد توتراً ويأكل من عنقود العنب بنهم) ثم لماذا تزجون باسمي في كل شيء... بمناسبة ومن غير مناسبة...؟ أنا جئت هنا لمهمة محددة.. سأقوم بها في وقتها... أما هذا الذي تفعلونه فهو ليس مسرحا على الإطلاق... هذا تهريج (يهمس مخاطبا نفسه) وسأنهي هذا المشهد الهزلي في الوقت المناسب، إني لا أطيق البقاء مع هؤلاء البشر أكثر من ذلك.

الحكيم : (يخاطب أريستوفانيس باهتمام شديد جداً) وما هي مهمتك المحددة؟ وبم تهمس...؟

أريستوفانيس: لا ينبغي لك أن تعرف الآن... المهم أن تخلصنا من هذا المخرج.

الحكيم : (للمخرج) أقترح عليك أن تجعل هيرونيموس وأبقراط لا يهاجمان براكسا.

المخرج : هذا حسن جداً... ولكن ماذا يفعلان؟

الحكيم: يقتل كل منهما الآخر.

المخرج: لا أريد الاغتيالات بالمرة... الحكومة تتشاءم... ألا تفهمني!؟

الحكيم: إذن فاحذف مشهد المنصة تماماً.

أريستوفانيس: (متدخلا) أما أنا فأتمنى أن يصعد الناس من الصالة إلى خشبة المسرح ويشعلوا فيها النار... ويقضوا على الجميع ويخلصونا من هذه المهزلة.

المخرج : (بحدة) أنت إذن مخرب... عميل... ليس ببعيد أن تكون صهيونيا.. اسمع يا خواجة... أرني جواز سفرك... شكلك

كده مريب... وأمرك عجيب... باين عليك خرّاب بيوت!

أريستوفانيس: أنا هنا لمهمة محددة... وليس من حقك أن تمنعنى... ولا يوجد على الأرض من يستطيع أن يمنعنى... أنا حر حرية مطلقة فى تحركاتى... وفى أداء وظيفتى فى الحياة.

الحكيم: (متدخلا) هذا ضيفى... ولا يحق لأحد أن يهين ضيفى... تعال يا أر..... (يهم باحتضان أريستوفانيس فيزوغ منه الأخير).

أريستوفانيس: لم يئن الأوان بعد أيها الحكيم، تمهل... فلنا لقاء عما قريب لنرحل فى الأفق البعيد... الرحيب.... أما الآن فدعنا نخرج من هذا المكان الخانق.... إنه سجن... هيا لقد اقتربت الساعة (ينظر فى عنقود العنب الذى شارف على الإنتهاء).

المخرج: أما أنا... وقد خذلنى الجميع... فسأذهب للزعيمة الأولى... فهى متخصصة فى المسرح الحديث... المسرح المتطور الذى يلبى كافة الاحتياجات... الرسمية.

اللوحة الخامسة

(نفس المشـــهـــد فى اللوحـــة الأولى: الحكيم على ســـريره بالمستشفى بين الصحو والإغماء، أما لوحة الحمار التى كانت معلقة على الحائط فقد اختفت، وإن كانت قد تركت بصمتها على سطح الحـائط... الممـرضــة البـدينة تقف بجـوار الحكيم وبيدها الحقنة وفى وضع الاسـتعداد دائما لحقن الحكيم فى أية لحظة. ولكنها تبدو واجـمة حزينة ولا تنطق بكلمة واحدة طوال المشـهد. تبدو أيضاً من بعيد الحمالة التى نقل عليها الحكيم من غرفة الإنعاش وإليها أكثر من مرة. يدخل المخرج المسرحى يسرى أبو المكارم مرتديا بدلة بيضاء أنيقة وتتبعه زوجته الجميلة، الراقصة الشهيرة سـحر وصفى التى ترتدى فسـتانا أحـمر فـاقع اللون، وهو على أحدث تقليـعات المودة ويظهر كل مفاتن الجسد السفلية والعلوية).

يسرى أبو المكارم: أستاذنا الحكيم... مؤلفنا العظيم... كيف حالك الآن!؟

الحكيم : الحمد لله... مازلت ألعب فى الوقت الضائع، (هنيهة صمت)... وهو قد خرج... ولم يعد حتى الآن... أنا فى انتظاره... أتوقعه بين لحظة وأخرى... أشعر بأنه سيأتى الآن... أنت ماشفتوش؟ ماجاش معاك ليه؟

يسرى أبو المكارم: (فى دهشة) من ؟

الحكيم : ألا تعرفه...؟ ما علينا... المهم ماذا فعلت بالمسرحية «برا...» .

يسرى أبو المكارم: (يقاطعه وكأنه يخاطب نفسه): الرجل ده مكشوف عنه الحجاب...! (مستدركا) ولكن قبل الحديث فى العمل أقدام لك زوجتى.

الحكيم : سحر وصفى... لا تحتاج إلى تعريف.

يسرى أبو المكارم: حقا... تعرفها!؟

الحكيم : وهل يخفى القمر ؟

سحر و صفى : (بابتسامة عريضة وحركة تمثيلية) مِرْسى... مِرْسى خالص... أنت كلك ذوق... يا أستاذ.

الحكيم: (مخاطباً أبو المكارم) ده أنا لو مشيت فى الشارع. مع سحر وصفى... سيلتف الناس من حولنا ويزفونا ويقولوا عليه مين العجوز ده اللى ماشى جنب سحر وصفى... وموش بعيد يطاردونى.

يسرى أبو المكارم: العفو يافندم... ده أنت عملاق المسرح العربى وأستاذنا كلنا... اسمح لى نتكلم فى الموضوع مباشرة.... نتمنى أن حضرتك توافق؟

الحكيم : يابنى ما أنا وافقت... وقلت لك من الأول اعمل اللى أنت عاوزه... وما تخافش... أنا من ناحيتى موافق زى ما قلت لك بالأمس... احذف كل حاجة... كل اللى موش عاجبهم.

يسرى أبو المكارم: (مندهشا مخاطباً سحر وصفى) بالأمس! (يخاطب الحكيم) يا أستاذنا احنا كنا مسافرين فى العراق ودول الخليج من شهرين... ده احنا لسه واصلين مصر النهارده.

سحر و صفى : (مشيرة برموش عينيها وهامسة لزوجها) ما علينا يا حبى... الراجل موش واخد باله، كتر ألف خيره... بيتكلم عن حاجة ثانية... لاغيه يا أخى... اتحرك...!

الحكيم : أنا أفكرك... يا ابنى لما جيت وعرضت على أنا وأريستوفانيس أن تحدث بعض التغيرات وتحذف بعض المشاهد لإرضاء الزعيمة الأولى لما جات وزعلت....

يسرى أبو المكارم: (مقاطعا) يانهار أسود! يافندم احنا دلوقت ما عندناش

الزعيمة الأولى... يا أستاذنا الزمن اختلف... احنا فى زمن غير الزمن... أنت عامل زى أهل الكهف كده... الله ... ومين ده أريستوفانيس؟ هو رجع من الآخرة!

الحكيم : (ضاحكا) أرفانيس مانت عارفة! (يقهقه).

سحر و صفى: (تشير بيديها لزوجها) فوّت يا كرومة فوت يا حبيبى... ماتدقش... المهم نوصل للهدف.

يسرى أبو المكارم: (فى أذن زوجته) لكن ده هايجننى ! (يقترب من الحكيم) سيادتك عارف مسرحنا القومى قد أغلق أبوابه لإجراء التحسينات.

الحكيم : أنت هاتقوللى به بالذات المسرح القومى ده مرتبط فى ذاكراتى بمسرحية اعتز بها «أهل الكهف» اللى افتتحوا بها هذا المسرح عام ١٩٣٤/ ١٩٣٥... يا سلام على أيام زمان.

يسرى أبو المكارم: تمام... تمام... وعلشان كده نفسى أقدم لك عمل على المسرح... يعيد إلينا هذه الأمجاد.

الحكيم: ما أنا عارف... «براكسا» !.

يسرى أبو المكارم: لا يا أستاذ... «إيزيس».

الحكيم : وأريستوفانيس... ده زمانه جاى... ما تجرجنيش معاه.

يسرى أبو المكارم: (كمن يخاطب نفسه) أريستوفانيس إيه وهباب إيه ! (مستدركا) المهم يا أستاذ أنا كنت قد تركت لك العقد قبل ما أسافر العراق ودول الخليج،

الحكيم: لا عقد ولا غيره... المهم الدفع أولا.

سحر و صفى: (هامسة) واعى بس فى كده ....!؟

يسرى أبو المكارم: (يقدم له مظروفا) هذا هو المبلغ... كاش.

الحكيم: (وقد أخذ المظروف) كم ؟

يسرى أبو المكارم: ألفان.

الحكيم: هذا قليل.

يسرى أبو المكارم: (يمد يده) إن كان قليلا... أعطنى المظروف... وبعد انتهاء العرض أدفع لك أكثر.

الحكيم: لا... لا... سيظل المظروف هنا فى حمايتنا... وأعتقد أنه سينمو بعد العرض ويتزايد عندما تدفع لى الباقى... وإلا...

يسرى أبو المكارم: لا... يافندم احنا عند كلمتنا... (يسلم الحكيم المظروف للممرضة التى تضعه فى صدرها وفى صمت، فينظر إليها الحكيم فتضع المظروف تحت وسادته).

سحر و صفى: (هامسة) يا واعى!...

يسرى أبو المكارم: المهم نفسك معانا... لأن العملية صعبة جداً... والمشروع ضخم... فوق ما تتصور.

الحكيم: ما أنا حضرت البروفات مع أريستوفانيس.

يسرى أبو المكارم: (متأففاً يضرب كفاً بكف) تانى أريستوفانيس! أرفانيس!... هباب أزرق أرجوك يا أستاذنا خللى بالك معانا شوية... دلوقت احنا بنبنى مسرح فى الصحراء بجوار معبد إيزيس... هناك سنعرض «إيزيس» وهنعملها أوبرا شعبية.

الحكيم: (يترنح ويسند رأسه على الوسادة) إيزيس... أوبرا... وشعبية كمان...!

يسرى أبو المكارم: أنا عارف... الخبر صعب شوية... صدمة المفاجأة أذهلتك... وطبعا تتساءل ومن أين كل هذه التكاليف؟... أطمئنك... الواقع أننى أحاول تأسيس نظرية جديدة للمسرح... تهدف إلى تأصيل المسرح العربى... ونظريتى الجديدة تتخلص فى كلمتين اثنين.. المسرح السياحى.

الحكيم: السياسى!؟

يسرى أبو المكارم: السياحى... المسرح السياحى يا أستاذنا ما أنت

عارف بلدنا تعبانة اقتصاديا... الناس موش لاقية لحمة... ولا حتى فول الصويا... المرافق العامة عمرها الافتراضى انتهى من القرن الماضى.

الحكيم: يعنى... مصر كلها بتلعب فى الوقت الضائع زيىّ كده... (يبتسم).

يسرى أبو المكارم: (مواصلا) وليه احنا يا مسرحيين ما نواجهش كل هذه المشاكل... ونضع لها حلول جذرية...

الحكيم: عندك خطة إذن؟

يسرى أبو المكارم: طبعا... المسرح السياحى.

الحكيم: السياسى قصدك ؟

يسرى أبو المكارم: (يتجاهله) أنا مثلا بوصفى منتج ومخرج وموزع «إيزيس» اتفقت مع أكبر شركات السياحة فى العالم... لتنظيم رحلات جماعية مباشرة من أقاصى الدنيا إلى مكان عرض أوبرا «إيزيس» فى الصحراء الغربية.

الحكيم: ولكن «إيزيس» لا تصلح لهذا النوع من العروض.

يسرى أبو المكارم: لا... ما احنا قلبناها... خليناها مسرحية بالشعر العامى، يعنى فى شكل استعراضى سياحى تقريبا، وبالتحديد هى عمل درامى كلاسيكى يجمع بين الأوبرا وفن الموال المصرى والرقص البلدى... كتب أشعارها ولحنها حسن الأطرش.. ويغنى فيها سيد الطرب قوطه الزفت وأخته طماطم و...

الحكيم: والبلد فيها كل ده ؟

الحكيم: ومن يلعب دور البطولة ؟

يسرى أبو المكارم: سحر... زوجتى بنفسها... أقسمت أنها لازم تقوم بالدور ده لوحدها.

الحكيم: لوحدها !؟

يسرى أبو المكارم: وهكذا ستأخذ شخصية إيزيس الفرعونية وتجسد بعدها القومى...

الحكيم: كيف ؟

يسرى أبو المكارم: سحر بوصفها الزعيمة الأولى ...

الحكيم: الأولى... الأولى فى أية... ؟ حد سألنى السؤال ده قبل كده... أريستوفانيس أيوه أريستوفانيس كان بيسأل الأولى فى إيه ؟

يسرى أبو المكارم: (مواصلا) فى الرقص الشرقى... وهذا الفن... يعد ثروة قومية... بمعنى أن مصر هى الرائدة فى هذا المجال... والعالم العربى كله يعتمد علينا... ويثق فى بضاعتنا...

الحكيم: وما علاقة ذلك بما تسميه البعد القومى للشخصية ؟

يسرى أبو المكارم: يا أستاذنا... وانت سيد العارفين... العرب لم يتفقوا قط على شيء مثلما اتفقوا على الالتفاف حول الرقص الشرقى... وبالتالى يمكن استغلال هذا الفن لإحياء فكرة القومية العربية وتوحيد الصف العربى وراء القضية الفلسطينية... والكفاح المسلح وصولاً للحل السلمى فى ظل النظام العالمى الجديد.

الحكيم: أنت فاهم اللى بتقوله ! ؟

يسرى أبو المكارم: موش مهم أفهم أنا... المهم أنفذ مشروعى الضخم... ببعده القومى والدولى كمان.

الحكيم: ليه أنت ناوى تعرض القضية.. قصدى المسرحية على مجلس الأمن ؟

يسرى أبو المكارم: يا أستاذ أرجوك تفهمنى... أنا همى الأول هو خدمة القضايا الوطنية الملحة... حل مشاكل البلد والوقوف فى صف الجماهير...

الحكيم: يا سلام... !

يسرى أبو المكارم: المسارح اللى عندنا فى البلد تسع مئات فقط، ودائما تلاقيها مقفولة... أو حتى تقدم مسرحيات وما فيش جمهور... أما المسرح الذى بنيناه فى الصحراء فهدفه تعمير المنطقة... لأنه يتسع لثلاثين ألف متفرج...

الحكيم: والتذاكر ؟

يسرى أبو المكارم: رخيصة جداً... خمسة دولار.

الحكيم: بالدولار؟

يسرى أبو المكارم: الشوارع مليانة دولارات يا أستاذ مافيش مشكلة؟

الحكيم: ولكن أظن أن الأجانب فقط هم الذين سيدفعون بالدولار.

يسرى أبو المكارم: عظيم جداً السياحة تنتعش فى بلادنا والاقتصاد يزدهر... ونحل أزمة المسرح. هات لى فى مصر مسرح يحضره أكثر من ثلاثمائة متفرج فى الليلة... أنا أؤسس مسرحى.. الآلاف... مسرح مسرح جماهيرى.

الحكيم: ولكنهم أجانب ؟

يسرى أبو المكارم: وهمه الأجانب مش مواطنين فى بلادهم... واحنا هنفرق بين الناس تفرقة عنصرية... المسرح لا وطن له... مثل السياحة...

الحكيم: وكيف ستحل مشكلة اللغة ؟

يسرى أبو المكارم: بالنسبة للأجانب ستكون هناك ترجمة فورية... وهناك مشروع صممه أحد المهندسين حيث سيتم بناء منصتين للتمثيل احداهما تقدم العرض باللغة العربية والأخرى باللغة اللاتينية... على العموم مازلنا ندرس هذا...

الحكيم: ولكن هذا المشروع يحتاج إلى أموال طائلة؟

يسرى أبو المكارم: لا تقلق، واطمئن... فبمجرد أن طرحت الفكرة للتنفيذ... لنهالت علينا العروض العالمية من أنحاء الدنيا

كلها... وازدحمت وكالات السفر وشركات الطيران... بطوابير الراغبين فى الحضور إلى مصر والدفع طبعا مقدما... وبالفعل جمعنا ملايين الدولارات...

الحكيم: والضرائب ستدفعونها أيضاً مقدماً ؟

يسرى أبو المكارم: (ضاحكا) بل لن ندفعها قط... فوزير الضرائب فى جيبى الشمال اتفقت معه على نسبة من الأرباح... وهو مؤمن بمبدأ التعاون على البر والتقوى... والدنيا أرزاق.

الحكيم: (مترنحا) وما دورى أنا فى كل هذا ...!؟

يسرى أبو المكارم: أنت الكل فى الكل يا أستاذ... مطلوب أولا أن توافق على التعديلات الفنية التى أجريناها على النص... ليتفق مع الرؤية الوطنية وأبعاد القضية القومية... والنظرية المسرحية السياحية.. نظريتى الجديدة.

الحكيم: (فى قرف) يا ا بنى أنا بلعب فى الوقت الضائع... واعمل اللى أنت عاوزه بعد...

يسرى أبو المكارم: (متصايحا) إذن فأنت توافق؟

الحكيم: بل لا أملك أن أفعل شيئا... انتهى أمرى.

يسرى أبو المكارم: ولابد من أن تحضر حفل الافتتاح.

سحر و صفى: أيوه والنبى يا أستاذ... لازم تشرفنا ليلة الإفتتاح..ده أنا محضرة لك رقصة جنان... (تشرع فى الرقص... وتتبرم المرضة وتدير ظهرها فى استنكار... يوترنح الحكيم).

الحكيم: إذن فأرسلوا لى الدعوة على عنوانى الجديد هناك... عند أرفا...

يسرى أبو المكارم: أنا بنفسى ساحضر... لكى أصحبك إلى المسرح... أنت مش عارف قيمة نفسك يا أستاذ... أنت بقين زى قطعة من آثار بلادنا... ولازم نعرضك على الناس ليلة الافتتاح.

سحر و صفى: إوعى تنسى يا أستاذ... لازم تحضر علشان خاطرى (تهز

وسطها)...

الحكيم: هذا هو المستحيل.

يسرى أبو المكارم: إذن فلن ندفع لك بقية الأجر (تبكى الممرضة... وتأخذ وضع الاستعداد لحقن الحكيم الذى تسقط رأسه على الوسادة).

الحكيم: أنا لا أخاف شيئا... ولا أمل فى شئ أنا فنان حر... وعندما سيأتى!... هل نسينى؟... لقد وعدنى... بالعودة... أنى أحس بشىء غريب يسرى فى جسدى كأن كيانى كله ينشطر شطرين... (لحظة صمت ثم يبتسم الحكيم فى هدوء وسكينة) أريستوفانيس أخيرا جئت... مرحبا بك... طال انتظارى لك... منقذى! لا تتركنى وحدى (يظهر شبح أريستوفانيس وبيده عنقود العنب الذى أنتهت كل حباته...) أريستوفانيس...!! صديقى أريستوفانيس أنقذنى خلصنى من هذا الكرب... أنا جاهز... هيا (يمد أريستوفانيس يده بعنقود العنب الفارغ إلى الحكيم الذى ينهض من فوق سريره ويسير فى خطى بطيئة مقتفيا أثر أريستوفانيس إلى خارج المشهد ويسدل الستار الختامى).